ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا

اعدلوا هو أقرب للتقوى

التقوى

إسلامية شهرية للدعوة إلى الله

المجلد ٨

العرشُ وحَمَلَته

حقيقة عالم المعاد
معارف عالم المعاد
مراتب العلم

ما هو العرش؟
ما معنى حمل العرش؟
من هم حملة العرش؟

ما سبب تواتر نزول
المصائب بالمسلمين؟
حقيقة جهاد المشائخ

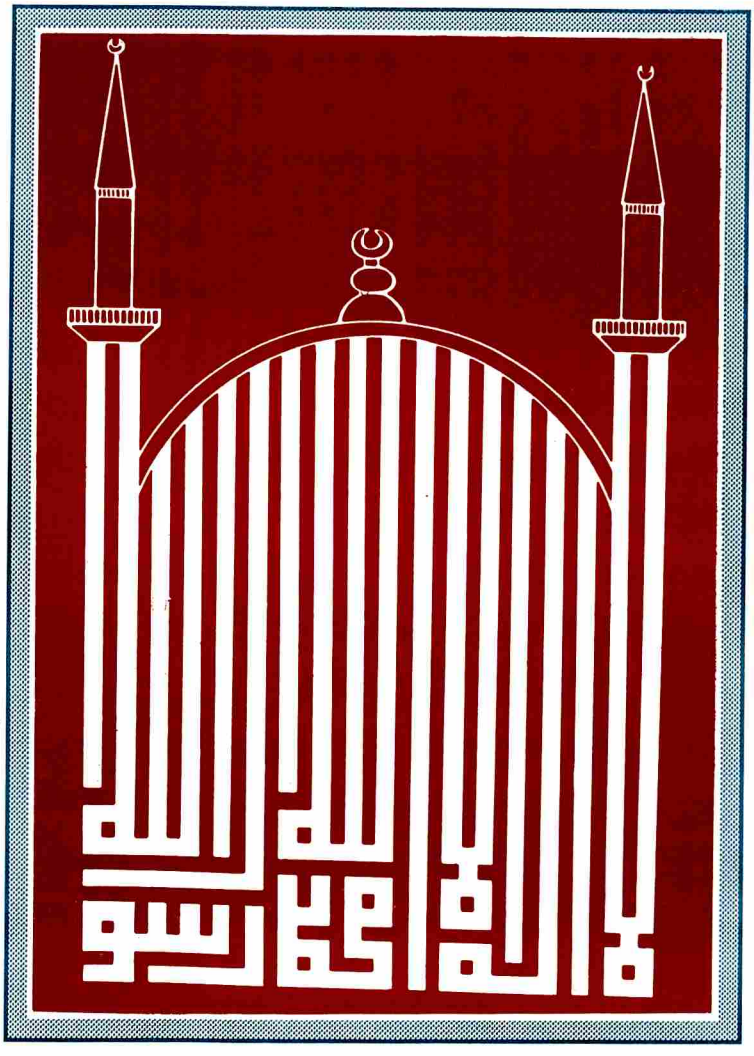

المجلد ٨ - العدد ٦ - جمادى الأولى ١٤١٦ هـ - أكتوبر (تشرين١) ١٩٩٥م

لايزال الظالمون سادرين في ظلمهم وجهالتهم!!

جاءتنا هذه النشرة من قسم الصحافة والنشر (المركزي) بالجماعة:

... رجاء طرح هذا الموضوع تحت أنظار هيئات حقوق الإنسان ورجال القانون في بلدكم..

أمر رقم ٦٩-اب/١/٦٨/مادة/ب/١٩٩٥

☠ حيث أنه قد أبلغنا وفد من مجلس ختم النبوة في لورالاي أن المدعو نذير أحمد بن الله يار، القاطن في لورلاي.. متورط في تبليغ الأفكار الأحمدية بين السكان، وبذلك يلوث عقول بعض الصبية المسلمين، ويجرح بشدة المشاعر الدينية لجماهير المسلمين،

☠ وحيث أن شعور الجمهور العام يتصاعد ضد المدعو نذير أحمد، والجو في إقليم لورالاي مشحون بالتوتر مما يؤثر سلبيا على النظام والأمن العام وسلامة نذير أحمد شخصيا،

☠ لذلك، أنا طارق رفيق قاضي قسم لورالاي، بموجب السلطة المخولة لي بقانون حفظ النظام في باكستان الغربية لسنة ١٩٦٠ المادة (1 c) 5.. أمرنا بإخراج المدعو نذير أحمد من نطاق قسم لورالاي، ولا يسمح له بدخوله أو الإقامة أو البقاء فيه.

☠ يكون هذا الأمر نافذا لمدة ٦٠ يوما اعتبارا من تاريخ صدوره ما لم يُسحب قبل ذلك.

☠ صدر بيدي وختم بخاتم المحكمة يوم أول يوليو ١٩٩٥. توقيع

التعليق:

قال الله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يشعيب والذين ءامنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا. قال أو لو كنا كارهين؟﴾

وقال المصطفى ﷺ : «تكون في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير».. أي حكامهم ورجال الدين.

وقال إمام الجماعة: "إذا كان القانون بهذا الجنون والفساد والانحطاط.. فماذا يفعل المؤمن سوى الصبر على الابتلاء حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ؟"

ويحذر الله جل جلاله: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا. وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾

اللهم اهدهم.. أو عجل موعدك للظالمين !

المجلد الثامن . العدد السادس
جمادى الأولى ١٤١٦ هـ - أكتوبر (تشرين ١) ١٩٩٥م
Volume No 8, Issue No 6, October 1995

بسم الله الرحمن الرحيم

التقوى

شهرية للدعوة الإسلامية
تصدرها الشؤون العربية
بالجماعة
الإسلامية الأحمدية العالمية

رئيس التحرير
محمد هلمي الشافعي
نائب رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز
هيئة التحرير
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الإسلامية الدولية
الإدارة : مظفر أحمد
الطباعة: موسى شيبوب
كمبيوتر: عبادة بربوش
تحية الشافعي

عنوان المراسلة:
The Editor [Attaqwa]
Islamabad, Sheephatch Lane,
Tilford, Surrey GU10 2AQ. UK
دار الرقيم للطباعة
إسلام أباد-تلفورد-بريطانيا

في هذا العدد

كلمة التقوى..... ٢
في عالم التفسير..... ٤
جوامع الكَلِم..... ٨
فلسفة التعاليم الإسلامية [١٣]..... ٩
من خطب الجمعة..... ١٢
ندوة علمية لإمام الجماعة..... ١٨
السيرة الطاهرة [١]..... ٢٣
الجن بين الحقيقة والخرافة [٣]..... ٢٨

ثمن النسخة ١٫٥ ج ك والاشتراك السنوي ١٨ ج ك
أو ما يعادلها، وترسل القيمة إلى عنوان المجلة

كلمة التقوى..

هل آن الأوان؟

تدل الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي جرت منذ العقود الأخيرة.. أن أمة الإسلام قادرة على تغيير اتجاه مسيرتها في اتجاهات شتى ومتناقضة. فطالما ترددوا بين الشرق والغرب، وارتدوا من هنا إلى هناك، ودانوا بالبرجوازية، وتحولوا منها إلى الشيوعية أو الاشتراكية، ثم عادوا إلى الانفتاح والرأسمالية.

وأحيانا تظهر فيها تيارات التحلل من الدين والاندفاع في شهوات الدنيا، ثم ينقلب الوضع وتفور فيها دوامات من التشدد الديني والإرهاب الفكري.. فيتغير التيار ويتلون بحمرة الدماء.

ومنهم من يصول ويجول بشجاعة الضراغم وقسوة الكواسر عندما يتحاربون فيما بينهم، فإذا كان اللقاء مع عدوهم رأيتهم ينقلبون إلى نوع من الدواجن الأليفة تتمسح بالسيقان وتلعق باللسان.

ومنذ بداية الصراع الدموي مع إسرائيل كان هناك إجماع شعبي وقيادي على أن إسرائيل هي العدو الأعظم، ولا بد من مناجزتها حتى يتم إلقاؤها في البحر. وكانت أكبر تهمة وأفظع سُبة أن يقال لأحدٍ: أنت إسرائيلي أو عميل لإسرائيل. وقالوا "إسرائيل المزعومة، ودولة العصابات، والعدو الصهيوني"؛ وبعد حروب ونكسات وخراب واستنزاف.. أفاق أحد الرؤساء وقرر إنهاءَ الصراع الحربي الذي لا جدوى منه، والعملَ على إقامة سلام مع إسرائيل.. سلام دائم، واعتراف كامل. فعادت له أرضه، ونالت اسرائيل كل ما أرادت وعملت له منذ البداية.

وقامت الدنيا ولم تقعد ضد هذا الذي سمُّوه "الخائن"، وقاطعوا نظامه. وما هي إلا سنوات قلائل.. حتى تغير الاتجاه وأصبح الخائن رائدا للسلام. ودخلت دول المواجهة كلها في حوار مع العدو السابق. بل ودخل أصحاب القضية الأصليون في طابور المفاوضات والعناقات والسلامات. وهكذا تبدلت النظريات، وانعكست الأفكار، وصار المغتصب السابق جارا وصديقا، وأصبح المجاهدون جميعا أنصار سلام.

حسنا، هل يا تُرى كل هذه التحولات والتبدلات نتيجة لتغير في منهج التفكير لدى القادة والشعوب؟

هل أصبحت الحسابات والدراسات العقلانية هي الفيصل لاتخاذ القرار؟

هل تخلى الناس عن الشعارات الجوفاء، والعواطف السطحية، والعادات البالية، والمفاهيم الباطلة؟ أم كان كل ذلك استسلاما للدجال صاحب القوة والسلطان؟

إذا كانت الأولى.. فهل دخلنا حقا في الزمن الذي يفكر فيه الناس قادة وشعوبا في الوسيلة الوحيدة التي لم يجربوها بعد لإنقاذهم وإخراجهم من هذا التخبط والضلال؟

هل آن الأوان ليفيق الغافلون، ويرعوي الغاوون، ويعودوا إلى ربهم ويجمعوا كلمتهم، ويوحدوا صفوفهم، ويرفعوا راية التوحيد.. ليس بالخطب والأناشيد، وإنما بالقول والفعل السديد؟

هل اقتربت ساعة النشور، والخروج من القبور، وتحرير العقول من ظلمات القرون الوسطى التي رانت على عالم الدين؟

هل حان وقت الاعتصام بحبل الله، ومعرفة إمام الوقت، وفتح النوافذ والأبواب.. لدخول النور؟

من حقنا أن يراودنا الأمل.. ﴿ذلك بأن الله هو الحق، وأنه يحيي الموتى، وأن الله على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور﴾.

في رحاب التفسير..

من دروس حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رضي الله عنه..

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الخليفة الثاني لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام

﴿وأقيمُوا الصَّلٰوة وءاتُوا الزَّكٰوة. وما تُقدِّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله. إن الله بما تعملون بصير﴾ ١١١

التفسير:

﴿وأقيموا الصلٰوة﴾. لما كان أمر الله بالإعراض عن هؤلاء اليهود وتفويض أمرهم إليه شاقًّا على المسلمين لذلك قال لهم: إذا تضايقتم من حالكم أمام العدو، وغضبتم وشق عليكم الصبر.. فعلاج ذلك هو التضرع والابتهال إلى الله، والدعاء في الصلوات أن يهديهم بنفسه، أو إذا كان قد كَتب عليهم الحرمان من الهدى فيحميكم من شرورهم، ويدفعهم عن طريقكم.

﴿وآتوا الزكٰوة﴾. والعلاج الثاني هو مساعدة الفقراء بالصدقات، وحسن العشرة مع اليتامى والمساكين والأرامل، والنهوض بالطبقة الفقيرة من القوم، وتأليف قلوب أولئك الكفار الباحثين عن الحقيقة بحسن النية. وفي هذا إشارة أيضا إلى أن فيهم أناسا نريد لهم النجاة من العذاب، فضموهم إليكم بحسن المعاملة، حتى إذا خرجوا من بين ظهرانيهم دمرنا الباقين بالعذاب.

﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾. لما كان الصبر أمرا صعبا جدا، لذلك قال: لا تظنوا أن التمسك بالصبر يضركم.. كلا، بل إن الصبر في حد ذاته حسنة كبيرة، وسوف يندرج في أعمالكم الحسنة كالصلاة والصوم وغيرهما، وسوف تثابون عليه يوم القيامة ثوابا كبيرا جدا حتى أنكم تتحيرون عندئذ وتقولون: لم نفعل حسنة ذات شأن حتى ننال كلَّ هذا الجزاء. ولكن هذه الحسنة تستحق عند الله هذا الجزاء الكبير.

الواقع أن أهل الدنيا يَعتبرون الصبر جبنًا، فيُحرمون من هذه الحسنة، مع أن هناك بونا شاسعا بين الصبر والجبن. فالصبر يعني البقاء داخل نطاق الأمور التي حددها الشرع، ولكن ليس من الصبر أن يترك الإنسان حقوقَه ويصرف النظر عن مقاصده وأهدافه. فالفارق بين الصابر الحقيقي والجبان أن الصابر يتحلّى بالصبر ما دام الشرع يأمره بالصبر، ولكنه عندما يغار على شرف دينه وعزته فإنه يُثبت للعالم أن لا نظير له في الشجاعة، وأنه لا يخاف من تقديم أي تضحية. ولكن علامة الجبان أنه لا يصبر اتباعا لأحكام الشريعة، وإنما يسمي سلوكَه التلقائي صبرًا، وتدل العواقب أنه لم يكن صابرا بل كان جبانا. الصبر يعني أنه إذا سبَّك أحدٌ فلا تسبَّه، وإذا ظلمك أحد فلا تنتقم على ظلمه حتى يأذن لك الشرع بذلك. ولا يعني الصبر أن تُغفلوا الدفاع عن أنفسكم، وتدَعوا الناس يسومونكم خسفًا في أمر الدين، لأن ذلك لا يبعث على الشجاعة والبسالة وإنما يخلق الجبن. والجبن ليس جمالاً وإنما هو دمامة. فمن صفات المؤمن أن يقوم بالتضحية عندما يدعوه الشرع بالبذل والتضحية.. وإن كان العالم كله خلافه؛ وأن يتحلى بالصبر إذا أمره الشرع بالسكوت والصبر. ولا يعني ذلك أنه يسكت خوفا من قوة العدو، وإنما لأن الله تعالى قد أمره بالصبر عندئذ. والذي يصبر ويسكت ولو للحظة واحدة خوفا من قوة العدو فإنه جبان. والجبان لا يستحق البقاء بين صفوف حزب الله المقدس.

فالصبر أن يداوم الإنسان على مقاومة المنكرات التي تعترض طريقه حاليا، وأن يكون مستعدا لمقاومتها في المستقبل. كما يعني الصبر أن يداوم

على الحسنات التي يفعلها الآن، وأن يسعى لفعل الحسنات التي لا يفعلها الآن.

ومن معاني الصبر أيضا ألا يضيق الإنسان ذرعا عند حلول المصائب، ولا يفقد الهمَّة عند نزول الخطوب.. من موت قريب، أو نقصان مالٍ أو ما إلى ذلك؛ بل عليه بالسكينة والوقار، متذكرا أن ما عنده ليس ملكا له، وإنما هو عطاء من الله.

وهذا الصبر على نوعين: أولهما- هو الصبر على ما يأتي من ابتلاء من عند الله تعالى ولا دخل للخلق فيه، وثانيهما- هو الصبر على ما يُبتلى به من قبل الخَلق. ومثال النوع الأول موت قريب أو مرض، أو قحط ومجاعة، أو نقصان في المال لنشوب حرب وغير ذلك.. فهذا مما لا قبل للإنسان به، والرضا بقضاء الله في استقامة وثبات هو الصبر في مثل هذه الأحوال. أما فيما يُبتلى به بالمعاملات مع المخلوق فإنه يستطيع في بعض الأحيان مقاومة المخلوق. فمثلا لو لطمه أحد أو آذاه فبوسعه أن يرد عليه باللطم إن كان اللطم هو الأصوب، أو بالكلام المناسب إن كان الرد باللطم منافيا للمصالح القومية أو كان يفسد المعتدي أكثر. ولكنه لو امتنع عن الانتقام كان صابرا.. شريطة ألاَّ يكون امتناعه جبنا وخوفا بأنه لو لطمه لضربه أكثر.

فصبره على ما يُبتلى به من عند الله تعالى يعني عدم الجزع عند عجزه عن إزالة الخطب. وصبرُه فيما يختص بالمخلوق يعني امتناعه عن الانتقام رجاء مصلحة عُليا.. بشرط مقدرته على الانتقام، أما لو كان أحد مقيّدا في غرفة ولا يجد منفذا للفرار ثم قال: أنا صابر، فليس ذلك من الصبر في شيء، لأنه لو استطاع الفرار لفرَّ.

﴿وقالوا لن يَدخلَ الجَنة إلا من كان هُودًا أو نصارى. تلك أمانيُّهم. قُل هاتوا برهانَكم إن كنتم صادقين﴾ (١١٢)

التفسير:

قد ورد مضمون هذه الآية بصورة مختلفة في ثلاثة أماكن من القرآن الكريم، أولها قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾ (البقرة:٨٠) .. أي يزعم أهل الكتاب أنهم يدخلون النار، ولكن الله سوف يعاملهم برفق ولين فيخرجهم منها بعد اثني عشر شهرا، بل وقبل تمام السنة، وذلك ما تذكره كتبهم (الموسوعة اليهودية).

وثانيها قوله تعالى ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنَّوُا الموت إن كنتم صادقين﴾ (البقرة:٩٥). وهذا رد على مزاعم بعض اليهود أنهم لا يذوقون النار أصلا، بل كلهم يدخلون الجنة ولا يدخلها غيرهم مطلقا. فأمر الله محمدًا ﷺ قل لهم: إن كنتم حقا أصحاب الجنة من دون الناس فلم لا تسعون لذلك وتقدمون التضحيات التي هي بمثابة الموت، أو لماذا لا تباهلوننا على الموت؟

وثالثها هذه الآية. والحق أنها إدماج جملتين مستقلتين تقديرهما: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كانوا هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كانوا نصارى؛ ذلك لأنه لن يقول أحد من اليهود أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى، كما لن يقول ذلك أحد من النصارى.

إن أهل الكتاب الزاعمين حرمان غيرهم من الجنة مختلفون فيما بينهم لدرجة أن بعضهم يحرم الآخر من الجنة. فريق منهم يدعي أن اليهود يدخلون النار لكنهم يخرجون سريعا. فقد ذكر سيل SALE أيضا أن من الحقائق المسلَّم بها عند اليهود أن أي يهودي- مهما كثرت ذنوبه - لا يمكث في النار أكثر من أحد عشر أو اثني عشر شهرا، ما عدا يهوديَّيْن: دائن وإيبي رام، وباستثناء الدهريين، فهم لا يزالون يعذبون فيها للآن (ترجمته للقرآن تحت قوله تعالى: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة). كما أن صاحب دائرة المعارف اليهودية قد أثبت هذه العقيدة اليهودية بنصوص من كتاب التلمود (تحت كلمة Gehenna).

أما الفريق الثاني من اليهود فيزعم أن اليهود لن يدخلوا النار أصلا.

بينما هناك فريق ثالث من اليهود والنصارى يضيِّق نطاق النجاة أكثر من ذلك، فيرى أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود دون سواهم. أمّا النصارى

فيرون أنه لن يدخل الجنة إلا النصارى فقط.

ثم إن بعض النصارى يعتقدون أن الجحيم على نوعين: دائم ومؤقت. فإن دخل النصراني الجحيم دخل الجحيم المؤقت ثم يخرج منه. في حين يعتقد بعضهم أن أي نصراني يُكِنّ في قلبه حب المسيح ولو بقدر ذرة فلن يدخل النار مطلقا.

ولقد أدت مثل هذه العقائد بأهل الكتاب من يهود ونصارى إلى أن بدأوا يخطِّئون بعضهم البعض، وتشددوا في ذلك لدرجة أن قال اليهود: لن يدخل النصارى الجنة وإن كانوا مؤمنين بالتوراة؛ وقال النصارى: لن يدخل اليهود الجنة وإن كانوا مؤمنين بالتوراة.

وحسب ترتيب مضمون الآيات فقد كان سياق أولى هذه الآيات- ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾ أن ذكر الله دعوى النبي ﷺ، وبيّن أن اليهود يعارضونه، ولكنهم لا يعارضونه عن أمانة وحسن نية. لا شك أن المعارضة ليست محرَّمة، لأن لكل واحد الحق في أن يعارض رأيًا إذا لم يفهمه ورآه غير صائب، ولكنه لو فهمه ورآه صوابا ثم عارضه فلن يُعتبر أمينا في معارضته. فالمعارضة أمر جائز شريطة أن يكون مبنيًا على حسن نية وأمانة، وليس على تعصب وعناد، كما يحب مراعاة أسلوب شريف في إبدائها.. إذ لولا المعارضة الإيجابية لتوقف ازدهار العلم، لأن جميع التطورات العلمية مدارها الاختلاف. ولكن الله يقول: إن هؤلاء يعارضون تعصبا وعنادا، ويقلبون حقائق القرآن أمام الناس، لذلك فلا أمانة ولا صدق في أقوالهم وأفعالهم. إنما تكون معارضتهم إيجابية مبنية على صدق وأمانة إذا وجدوا المسلمين على خطأ حقًا.. ثم برهنوا على خطئهم. إنهم يُخفون الحقائق، ولا يأتون بدليل على ما يقولون.. فلا شك في سوء نياتهم، وليس ذلك إلا لزعمهم أنهم لن يدخلوا النار. وحينما ترى أمَّة أن النجاة حكر عليهم وإرث لهم.. خلت قلوبهم من التقوى. ذلك أن الناس على نوعين: منهم من يطيعون خوفا، ومنهم من يطيعون حُبًا. الطبقة السفلى في الإيمان تتجنب المنكرات خوفا من العذاب، أما الطبقة العليا منهم فإنها تتورع عنها حبًا لله تعالى وشكرا على نعمه. يقول الله إن هؤلاء القوم قد انحطوا لدرجة أنهم ما كانوا ليتجنبوا الإثم إلا خوفا من العذاب، ولكن أصحابهم قالوا إنكم لن تدخلوا النار أبدا، فزال عنهم خوف العذاب وتشجعوا على فعل المنكرات. يمكن للدهري أن يتحرر كما يشاء، ولكن هؤلاء بالرغم من انتسابهم إلى دين سماوي يأتون ما لا يأتيه الدهريون أيضا.

أما الآية الثانية ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ فتبين أن الأمم التي تحسَب النعم الإلهية حكرا عليها.. لا ترغب في البحث عن الهداية، إذ إنما يبحث عن الهداية من أيقن أن باب الهداية السماوية والنعم الإلهية مفتوح للجميع. أما الشعب الذي يعتقد أن الهداية مخصوصة به فلن يصدِّق إلا ما ورد في كتبه، ولن يبحث عن الحقيقة في مكان آخر على الإطلاق، وبالتالي يضيِّق نطاق الهداية بقصر النجاة عليه دون غيره، ويلجأ إلى التعصب ويخلو من التقوى.

أما آيتنا هذه ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا﴾ فمضمونها أن مثل هذه المعتقدات من شأنها أن تؤدي حتما بأصحابها إلى تضييق نطاق النجاة شيئا فشيئا حتى يحرِّم بعضهم على البعض النجاة، ويختفي عن أنظارهم عنصر التقوى الذي هو المدار الحقيقي للنجاة.. في حين أنه يجب ألا يظن أحد في أي زمان أن باب الهداية مغلق، بل عليه أن يكون مستعدا لقبول كل ما يُنزل الله من كلامه.

وليكن معلوما أن قول اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا.. ليس في حد ذاته بالأمر القبيح، ذلك لأن أتباع كل دين يحسبون أنهم الناجون؛ والمسلمون أنفسهم يحسبون أنه لن يدخل الجنة سواهم. فليس معنى الآية أن اليهود أو المسيحيين لماذا يحصرون النجاة في دينهم، وإنما المراد أنهم يحصرون النجاة في اليهودية أو المسيحية، ثم يضيِّقون دائرة فيضان الله الواسع، ويحرمون بزعمهم هذا جزءا كبيرا من الناس من رحمة الله الواسعة.

لاشك أن الإسلام أيضا يدعي بأنه لا نجاة لبني

البشر إلا فيه، ولكنه مع ذلك لا يغلق باب الهداية السماوية، بل يقول ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾.. أي من علامات المؤمنين انهم كلّما يأتيهم كلام جديد من الله تعالى يؤمنون به من فورهم. إنهم يربطون النجاة بالإيمان بكلام الله، سواء كان قد نزل في الماضي أو سينزل في المستقبل. ولكن اليهود على عكس ذلك يزعمون أن لا نجاة إلا لشعب بني إسرائيل، وهم لا يُدخلون أحدا في دينهم.. لأنهم لا يؤمنون بنجاة أحد هو ليس من شعبهم. إنهم لا يربطون النجاة بدينهم وإنما بشعبهم فقط.

أما النصارى فهم لا يربطون الخلاص بشعبهم بل بدينهم، ويقولون: يمكن لكل واحد مهما كان شعبه أن ينجو من النار بالإيمان بالمسيحية. وكأن هناك تشابها ظاهريا بين المسيحية والإسلام في دعوة الشعوب الأخرى للإيمان به وكسب النجاة. وهنا ينشأ تساؤل: إذا كان ادعاء النصارى بألاّ نجاة إلا في النصرانية محل اعتراض، فلم لا يُعترض على ادعاء المسلمين ألاَّ نجاة إلا في الإسلام؟

ليكن معلوما أن هذا التشابه الظاهري بينهما ليس له ظل من الحقيقة، وإنما هو وهم وخيال. ذلك أن سائر النصارى - رغم أنهم يدعون كل الشعوب إلى دينهم - إلا أن دينهم لا يسمح لهم بذلك، حيث ترفضه أناجيلهم بكل صراحة.. فقد قيل لهم: «لا تُعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا دُرَركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم» (متى٧:٦). فقد شبّه المسيح هنا تعليمه المقدس باللآلئ والدرر، وأمر أن تبقى هذه الدرر منحصرة في أيدى الإسرائيليين.. ولا تُوهب لغيرهم، لأن الشعوب الأخرى - بحسب ما جاء في الإنجيل - كالكلاب والخنازير التي لا تقدرها حق قدرها، بل تشُن عليها الهجوم بالاعتراض عليها وبتحريف معانيها وهتك سترها.

وقيل أيضا: «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا. وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى١٠: ٥و٦). ويستدل المسيحيون من كلمة (بالحريّ) أنهم أُمروا بحصر دعوتهم إلى النصرانية في بني إسرائيل في البداية فقط، أما فيما بعد فكان لا بأس من نشرها في الشعوب الأخرى. ولكن يبطل استدلالهم هذا في نفس الإصحاح حيث قيل: «... فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يرجع ابن الإنسان» (متى١٠: ٢٣). وهنا يخبرهم المسيح أن لن تبدأوا دعوة الشعوب الأخرى إلى المسيحية قبل مجيء ابن الإنسان. نعم، عندما يأتي ابن الإنسان يسمح لكم بنشر المسيحية في الشعوب الأخرى أيضا. ولقد فسرت هذه الفقرة كلمة «بالحري» تفسيرا جيدا.

وقيل أيضا: «فأجاب وقال: لم أُرسَل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة» (متى١٥:٢٤). وهنا اعترف المسيح أنه لم يُرسَل إلى أحد سوى بني إسرائيل. فلم يُبق مجالا لنشر المسيحية في غيرهم من قبل ومن بعد.

وكذلك ورد: «وأما يسوع فقال لها: دَعي البنين أولاً يشبعون، لأنه ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويُطرَح للكلاب» (مرقس٧:٢٧). وهذه الفقرة تتضمن نفس ما جاء آنفا في (متى ٧:٦).

ولكن الإسلام على عكس ذلك.. لا يحدد دعوته في شعب معين، فأمَر الله نبيه ﷺ في القرآن الكريم: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف: ١٥٩). وفي مكان آخر قال جل شأنه: ﴿وما أرسلناك إلا كافَّةً للناس بشيرا ونذيرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سبأ: ٢٩).

كما أن الرسول بنفسه أعلن: «كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى كل أحمر وأسود»، وقال أيضا: «أُرسلت إلى الخلق كافة» (مسلم، المساجد).

فقد بيّن القرآن المجيد والرسول الكريم أنه لم يكن خاصا بشعب أو بلد، وإنما رسالة الإسلام للعالم أجمع. فعلى الرغم من التشابه الظاهري بين المسيحيين والمسلمين فإن المسيحيين يقولون ما يرفضه دينهم. ما دام الله تعالى لم ينزل تعاليم المسيحية للشعوب الأخرى، فكيف ينالون النجاة باعتناقها؟ فمثلا لو أن الحكومة أمرت أحدا بالذهاب إلى مكان فذهب غيرُه إلى ذلك المكان فلا بد أن يعاقب هذا؛ كذلك إذا تنصر أحد من غير الإسرائيليين فلا ينال ثوابا وإنما عقابا.

ثم إن الإسلام مختلف من ناحية أخرى، وهي أن اليهود والنصارى قد ادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، ولم يذكروا هنا أن غيرهم لن يدخلها في بداية الأمر ولكنه فيما بعد يدخلها،

بل ذكروا أنه لن يدخلها قط أحد سواهم.. ولو بعد آلاف بل ملايين السنين. وهنا أيضا يختلف الإسلام بصدد هذه النظرية، فهو لا يقول بدوام عذاب النار، بل يقول إن كل إنسان - حتى وإن كان ملحدا - لا بد أن يدخل الجنة في آخر الأمر، لأن الهدف من خلق الإنسان أن يصير عبدًا لله، وإذا لم يتحقق هذا الهدف فخلقه عبث. يقول الله تعالى: ﴿وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٧)، وقال أيضا: ﴿فادخلي في عبَادي وادخلي جنتي﴾ (الفجر).. أي يا ذا النفس المطمئنة- ادخل في عبادي وفي جنتي. وهذا يثبت أن الله قدّر لكل إنسان أن يدخل الجنة، ولولا ذلك لبطل الغرض من خلقه؛ وقام الاعتراض على الله تعالى بأن الهدف الذي خلق الإنسان من أجله لم يتحقق.

ثم هناك فرق بارز آخر بين نظرية الإسلام والمسيحية للنجاة، فالإسلام يعترف بأن سلسلة الوحي من الله سارية للأبد، ولا بد من الإيمان بكل ما يُنزل الله من وحي. ولكن المسيحية لا تقول بذلك، وإنما تحدد الوحي إلى زمن المسيح فقط، وتقول إنه لا يمكن الآن نزول الوحي ولو كان شرحا وتفصيلا لما سبق من الكتاب. لذلك لو أنزل الله أي وحي كشرع جديد أو بيانا لشرع سابق لرفضوه بناء على عقيدتهم هذه. ولكن المسلمين لا بد أن يقبلوه، لأن الله تعالى قد ذكر علامة المسلمين الصادقين بقوله ﴿وبالآخرة هم يؤقنون﴾ (البقرة:٥).. أي أنهم يؤمنون بكل هدي جديد من الله تعالى كما آمنوا بما سبق.

فالمسيحيون يضيِّقون دائرة النجاة، ويحرمون البشر من هدي الله بزعمهم انقطاع أي نوع من الوحي، ولكن الإسلام قد فتح هذا الباب.. وقال إنه لا بد من الإيمان بالوحي الذي ينزل لتقوية الإيمان وزيادة علم الإنسان. وأخبر اليهودَ والنصارى أن الله ليس إلههم وحدهم فحسب، وإنما هو إله للناس كافة، وأنه كان منذ خلق الكون يهيئ الأسباب لهداية خلقه كلهم، ولن يزال يهديهم في المستقبل أيضا.. فلا تحددوا فيضان رحمة الله الواسعة، ولا تجعلوا من هذا البحر الذي لا شاطئ له ينبوعا قد جف ماؤه، ولا تجعلوا الله إلها شعبيا بتخصيص النجاة لكم دون سواكم.

وقصارى القول: إن الله - بكل صراحة - قد قَرَن النجاة بالإيمان الذي صاحبه مستعد عن طيب خاطر لقبول ما يأتي من الله تعالى من هدي، وإلا لَما نعى الله هنا على المسيحيين الذين قالوا بفتح باب النجاة للآخرين أيضا. ما عابهم الله تعالى إلا لأنهم ليسوا على استعداد لقبول أي وحي بعد كتابهم. ولو اعتقد المسلمون أيضا بمثل اعتقادهم لعُدّوا عند الله من المجرمين.

ويبين قوله تعالى ﴿تلك أمانيهم﴾ أنه عندما تبدأ أمة بالتقهقر بدل التقدم والرقي.. فإنها بدلا من أن تقدم فعالاً من عمل صالح وسلوك نبيل.. تصبح صورة مجسمة للحسرات والأماني. وبينما يُحدث غيرها انقلابات في العالم بالجد والكدح وتحمُّل المشاق وبذل التضحيات.. فإن هؤلاء المتقاعسين عن تحمل المشاق، الخائفين من بذل التضحيات، المتطفلين على موائد الآخرين تطفُّل ابن آوى على فضلات الأسد.. يبنون قصورا في الأحلام. فماذا يُغني الإنسان قولُه: كان أبي كذا وكذا، ونحن أمة موسى أو عيسى أو آل محمد؟ إنما ينفع الإنسانَ انتسابُه إلى أمته إذا عمل كعملهم.

وقوله تعالى ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ يعني: قدِّموا لنا دليلا على ألاَّ نجاة إلا لليهود والنصارى إن كنتم صادقين في زعمكم هذا. وهذا هو نفس الدليل الذي ذكرته آنفا.. أعني إذا كنتم حقا أصحاب الجنة دون سواكم فيجب أن تحظوا بأفضال ونعم سماوية، وتتشرفوا بكلام الله تعالى. إذا كان اليهود هم الناجون فوجب أن يثبتوا وجود هذه الأفضال فيهم. وإذا كان النصارى هم الناجون فلا بد أن يدللوا على أن الله تعالى يوحي إليهم ويؤيدهم بآياته. ذلك لأن الله تعالى قد ذكر في القرآن الكريم أن للمؤمنين جنتين: إحداهما دنيوية والثانية أخروية ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ (الرحمٰن:٤٧). فإن كانوا صادقين في دعواهم فليخبرونا أين جنتهم الدنيوية، وليثبتوا أن الله ينعم عليهم بأفضاله وبركاته، أو يؤيدهم بكلامه، ويقرِّبهم وينصرهم عند الملمَّات بآيات خارقة للعادة. فإن كانوا كذلك فإنهم ناجون بلا مراء.. وإلا فليعلَموا أنهم محرومون من بركات الله في الدنيا، وسوف يحرمهم من النجاة في الآخرة.

[يتبع]

خيرُ الكلام .. حديث المصطفى ﷺ

الخلافة والشورى ..

•عن النبي ﷺ أنه قال:

ما من نبُوَّة قط إلا تبعتها خلافة. [كنز العمال]

• عن عمر رضى الله عنه قال:

لا خلافة إلا عن مشورة. [كنز العمال كتاب الخلافة]

•عن أبى هريرة قال :

ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ . [الترمذي_ كتاب الجهاد]

• عن علي رضي الله عنه قال :

قلت : يارسول الله ! الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل فيها قرآن ولم يسمع منك فيه شيء، قال : اجمعوا له العابدين من أمتى واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا برأى واحد. [الدر المنثور]

• عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - يعني بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت وقال : عمر، والله ما كان يقعُ في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّله فقال : بأبي أنت وأمي؛ طِبْتَ حيًّا وميتًا. والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا. ثم خرج فقال: أيها الحالف ! على رِسْلِك ! فلما تكلم أبو بكر جلس عمر. فحمد اللهَ أبو بكرٍ وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمدا فإن محمدا ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، وقال ﴿إنك ميِّتٌ وإنهم ميتون﴾، وقال ﴿وما محمدٌ إلا رسول قد خَلَتْ من قبله الرسول، أفإن مات أو قُتل انقلبْتُم على أعقابكم؟ ومن ينقلبْ على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئا. وسيجزي الله الشكرين﴾. قال : فنشج الناس يبكون -

قال : واجتمعت الأنصارُ إلى سعد بن عُباده في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أميرٌ ومنكم أمير. فذهب إليهم أبو بكر وعمرُ بن الخطاب وأبوعبيدة بن الجراح. فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر. وكان عمر يقول: والله ما أردتُ بذلك إلا أني قد هيَّأتُ كلاما قد أعجبني خشيت أن لا يبلُغَه أبو بكر.

ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله ! لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكنَّا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسطُ العرب دارًا، وأغربهم أحسابا. فبايعوا عمرَ أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدُنا وخيرُنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. فأخذ عمرُ بيدِه فبايعه وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعدَ بن عبادة. قال عمر : قتله الله.

وقال عبد الله بن سالم عن زبيدي، قال عبد الرحمن بن القاسم ، أخبرني القاسم أن عائشة قالت : شخص بصر النبى ﷺ ثم قال، في الرفيق الأعلى.. ثلاثًا، وقص الحديث،

قالت : فما كانت من خطبتهما من خطبةٍ إلا نفع الله بها، لقد خوَّف عمرُ الناسَ، وإن فيهم لنِفَاقًا فردَّهم الله بذلك. ثم لقد بصَّر أبو بكر الناسَ الهدى وعرَّفهم الحق الذي عليهم وخرجوا به يتلون ﴿وما محمد إلا رسول قد خَلَت من قبله الرسل ...إلى.... الشاكرين﴾. [البخاري - فضل أبي بكر]

كلام الإمام .. (١٢)

بعد مراجعة الترجمة العربية لكتاب (**فلسفة أصول التعاليم الإسلامية**) وهو خطبة لسيدنا **الإمام المهدي والمسيح الموعود** مايه السلام.. ننشر هذا الكتاب هدية لكل طالب حق.. كي يتعرف على، ويتذوق حكمة تعاليم الإسلام.. بلسان من أقامه الله تعالى. وبشّر بمقدمه المصطفى ﷺ.. لإحياء الإسلام وعرض جماله وكماله على العالمين. **التقوى**

السؤال الثاني

ما هي حالة الإنسان بعد الموت ؟

حقيقة عالم المعاد

أقول في جواب السؤال المذكور إن حالة الإنسان بعد الموت ليست في الحقيقة شيئاً جديداً.. بل هي حياته الدنيوية نفسها التي تنكشف يومئذ بجلاء مزيد. إن كيفيات العقائد والأعمال- صالحة كانت أم طالحة- تكون كامنة في باطن الإنسان ما دام في هذا العالم، وهي تبعث في تكوينه تأثيراً خفياً ملائماً لماهياتها، ناجعاً أو ساماً. وأما في العالم الأخروي فلا يظل الأمر على ما هو عليه بل يبرح عنه الخفاء كله، وتنجلي تلك الكيفيات المستترة جميعها انجلاء مشهوداً، نجد ما يماثله في عالم الرؤيا، فإن الحالة الغالبة على الجسم تتراءى في المنام في صورة مجسّمة، فمثلا كثيراً ما يرى المصاب بالحمى النار ولهيبها في منامه.. ويرى المصاب بالزكام أو الرشح أنه في الماء. وهكذا، كما يكون الجسم مستعداً للأعراض.. تُرى الأعراض في عالم المنام مجسمة حسب ذلك الاستعداد. وعليه، فيمكن للمرء إذا تدبر ما يحدث في رؤياه أن يفهم سنَّة الله في عالم المعاد. فإنه كما يُحدِثُ المنام فينا تغييراً معيناً.. ويرينا الحالة الروحية في صورة مجسمة.. كذلك يكون الأمر يوم الآخرة.. فيتشخص عملنا ونتائجه في صور محسوسة، ويلوح على وجوهنا بوضوح كل ما نكون قد استصحبناه من ههنا في صورة خفيّة، ويوقن الإنسان حينئذ يقيناً لا تشوبه شائبة الوهم أن ما يراه هو الحقائق لا التمثلات الذهنية.. كما يوقن النائم فيما يراه من الأحلام ولا يتوهم أبداً أنها التمثلات. فإن الله يظهر قدرته وشأنه العجيب يومئذ بواسطة عالم التمثلات. وبما أنه سبحانه وتعالى صاحب القدرة الكاملة، لذلك فإن قلنا أنها خلق جديد بدا في عالم الوجود بكمال قدرته.. وليست بالتمثلات.. كان هذا القول هو الأصح والأصدق والحق والواقع. يقول سبحانه وتعالى:

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ (السجدة: ١٨)

يعني لا يدري أحد ماهية النعيم الذي أُخفي للنفس السعيدة في عالم الآخرة.

عالم المثال

وصف الله جميع نعم الآخرة بأنها مخفيّة عنا.. أي لا توجد مماثلة بينها وبين النعم الدنيوية، والواضح أن نعيم الحياة الدنيا غير مستور عنا.. فإننا نعرف اللبن والرُّمان والزيتون والأعناب ونأكل منها دوماً. لذلك يتبين من الوصف المذكور في الآية أن موجودات العالم الآخر هي غير ما في هذا العالم، وليس لها في الحقيقة إلا الاشتراك في الأسماء مع هذه الأشياء. فمن ظن أن الجنَّة الموعودة عبارة عن موجودات هذه الدنيا فقد أخطأ ولم يفهم من القرآن حرفاً. يقول سيدنا محمد ﷺ في شرح الآية المذكورة:

"أعدّ الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". فلا يمكن أن يكون المراد بذلك نعم الدنيا فإننا نراها بأعيننا، ونسمع عنها بآذاننا، وهي تمر بخواطرنا. فما دام الله ورسوله يصفان نعيم الفردوس بكونه شيئاً بديعاً لا نظير له في الحياة الدنيا.. فلا يحق لنا أن نتصور خلاف ذلك، ونكون قد انحرفنا عن الفرقان الحميد انحرافاً كبيراً لو ظننّا أن في الجنّة أيضاً لبناً كهذا اللبن الذي يُحلب من الضأن والبقر والجواميس.. كأنما فيها قطعان سارحة من حلوبة الأنعام! وكأن النحل قد بنت هنالك في جذوع الأشجار عدداً عديداً من الخلايا، والملائكة يبحثون عنها ويشتارون منها العسل ويصبونه في الأنهار! أترون هل من مناسبة بين هاتيك الخزعبلات وبين ذلك التعليم السامي الذي تنطوي عليه الآيات القائلة بأن النعيم الأخروي لم تره هذه العين قط، ولا يدرك كنهه التصور البشري قبل الموت، وأنه ينير النفس ويزيد في العرفان الرباني، وأنه غذاء للروح؟ هذا، ومهما رسم الله من صورة لذلك النعيم على مثال المظاهر المادية فإنه قد نبّه الى أن منبعه هو الروح والاستقامة لا غير.

الوصف التمثيلي

وأما ما ورد في القرآن المجيد من قوله تعالى:

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا (البقرة:٢٦)

فلا يتوهمن منه أحد أن المراد بقوله ﴿هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ هو النعمة الدنيوية المادية، كلا.. إن هذا خطأ فاحش.. وإنه مخالف لمنطوق الآية الصريح ومغاير لمعناها البديهي. ليس هذا هو المراد، وإنما المراد هو أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. قد غرسوا بأيديهم جنات، أشجارها الإيمان، وأنهارها الأعمال الصالحات، وسيجتنون أثماراً من جنّاتهم هذه.. ويكون جناها يومئذ ظاهراً واضحاً. وبما أنهم يكونون قد أكلوا من ثمراتها قبلاً في دار الدنيا بصورة روحانية، لذلك فهم يعرفون من فورهم تلك الثمرات في الدار الآخرة.. ويقولون هذا الذي رزقنا من قبل، حيث أنهم يجدونه مشابهاً له. فالآية المذكورة تقول صراحة أن الذين كانوا في الحياة الدنيا يتغذون بغذاء المحبة الإلهية.. سيرزقون هذا الغذاء بعينه يوم الآخرة رزقاً مجسماً. ولكن بما أنهم يكونون قد ذاقوا لذة الحب والوداد.. وعرفوا كيفيتها، لذلك تتذكر أرواحهم حينما كانوا يرابطون في الزوايا والخلوات، يقومون الليل.. ويخلون الى ربهم.. ويناجون محبوبهم الحقيقي بوجد وهيام، ويتلذذون بذكره. كلا، إن الآية المذكورة لا تعني الأغذية المادية بتاتاً.

حقيقة الآخرة مكتومة عن الدنيا

ولئن خطر بالبال أنه ما دام العارفون قد رُزقوا في دنياهم من الغذاء الروحاني وكانوا يعرفونه.. فكيف يصح القول بأن الغذاء الموصوف لهم في الآخرة هو النعيم الذي لم يره أو يسمع عنه أحد ولا مرّ بقلب إنسان؟ فإن ذلك يستلزم تناقضاً ظاهراً بين الآيتين المذكورتين. والحقيقة أنه لا يوجد ثمة تناقض مظنون.. اذ المراد بهذا الرزق النعيم الروحاني الذي لا يمكن أبداً أن يُدرك بهذه العين والأذن والقلب. والتناقض إنما يتحقق إذا كان المقصود هو نعيم الدنيا الذي نراه ونشعر به بحواسنا الظاهرة. إن كل ما يتلقاه العارف بطريق العرفان هو في الحقيقة من قبيل النعيم الأخروي، الذي يوهب له منه شيء هٰهنا ترغيباً وتشويقاً. ألا فاعلموا أن الإنسان الرباني ليس من هذه الدنيا.. فلذا تمقته الدنيا، ولكنه من السماء.. فلذلك يُعطى النعمة السماوية. إن الإنسان الدنيوي ينال سعادة الدنيا، وأما الإنسان السماوي فيظفر بالسعادة السماوية. فالحق كل الحق.. أن النعيم السماوي قد أُخفي عن الدنيا كل الخفاء.. عن أسماعها وأبصارها وقلوبها.. ولكن الذي عفا الموت حياته الدنيا.. وسُقي بالطريقة الروحانية تلك الكأس التي يُسقاها فيما بعد ظاهراً بالصورة الجسمانية، سيتذكر سُقياه الأولى عند السُقيا الثانية. نعم سيتذكر ويعلم يقيناً أن باصرة الدنيا وسامعتها كانتا في غفلة عن ذلك النعيم. وبما أنه كان في الدنيا، وإن لم يكن منها، فهو يشهد أن جنّة النعيم الأخروي ليست من نعم الدنيا في شيء، ولكنه في

الحياة الآخرة يكون قد شاهد مظاهرها التي لم تكن من الدنيا.. وإنما كانت فيها كبشارات عما في الحياة القادمة، وكان لها بهذه نسبة وارتباط فقط، ولكن لم يكن لها بالدنيا من علاقة.

المعارف الثلاث عن عالم المعاد

هذا، ومما هو حريّ بالذكر أن القرآن المجيد وصف الشؤون المتطورة فيما بعد الموت بثلاثة أطوار، وهي معارف ثلاث عن عالم المعاد.. اختص بتوضيحها القرآن المجيد وحده. وها نحن مفصّلون كل واحدة منها على حدة فيما يلي:

المعرفة الأولى

صحيفة الأعمال وماهيتها

يقول الكتاب الحكيم مرة بعد أخرى.. أن عالم الآخرة ليس شيئاً جديداً.. بل إن جميع مظاهره هي آثار هذه الحياة الدنيا وظلالها كما يقول في الآية التالية:

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا (الإسراء: ١٤)

أي أنه سبحانه وتعالى قلّد كل إنسان تبعة أعماله، وأنه سيُظهر له آثاره المخفية ويريه إياها يوم القيامة في شكل كتاب مفتوح مبسوط. إن كلمة "الطائر" الواردة في الآية المذكورة معناها في أصل الوضع كل ذي جناح، وقد يُستعار لمعنى العمل أيضاً.. وذلك لأن العمل، خيراً كان أو شراً، يختفي بعد وقوعه كمثل الطير.. وتنعدم مرارته أو لذته بعد قليل، ثم يخلف في القلب منه أثر كثيف أو لطيف. إن المبدأ الذي يؤكده القرآن المجيد هو أن كل عمل يعمله الإنسان يترك أثراً خفيًّا في نفس عامله، وأن الله يقابل هذا العمل بأمر منه لحفظ أثر ذلك العمل سواء كان خيراً أو شراً، فلا يدع ذلك العمل يذهب سدى، بل تُرسم حالاً آثاره كيفما كانت.. في القلوب والآذان والعيون، وعلى الوجوه والأيدي والأرجل. هذه الرسوم هي صحيفة الأعمال المكتومة التي تنكشف ظاهراً في الحياة الثانية.. ويلقاها الإنسان كتاباً منشوراً.

ويخبر الله تعالى عن أهل الجنّة في موضع آخر بقوله

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم (الحديد: ١٢)

أي أن نور إيمانهم الحاصل اليوم بالغيب يُرى يوم الآخرة رأي العين ساعياً بين أيديهم وبأيمانهم.

وفي موضع آخر يخاطب عز وجل الفجّار بقوله:

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ • حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ • كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ • ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ • كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ • لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ • ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ • ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ • (التكاثر: ٢-٩)

أي أن حب الاستكثار من متاع الحياة الدنيا قد شغلكم عن ابتغاء الحياة الأبدية، ولم تزالوا به حتى وافتكم المنيَّة ووراكم التراب، فإيَّاكم ثم إيَّاكم.. فإن هوى الدنيا ليس بخير. ولو أنكم علمتم علم اليقين لرأيتم الجحيم في حياتكم هذه، على أنكم بعد حين ترونها رؤية اليقين في عالم البرزخ.. ثم إنكم يوم النشور تعلمونها حق اليقين.. لا بالمشاهدة فقط.. بل بالحال الواقع، إذ تؤاخذون أشد المؤاخذة، ويغشاكم العذاب كاملاً. لقد أخبر الله تعالى في هذه الآيات أن الحياة الجهنمية كامنة للفجّار في دنياهم، ولو أنهم فكروا لأبصروها هٰهنا.

مراتب العلم الثلاث

وقد قسم سبحانه وتعالى العلم مراتب ثلاثاً: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. ولكي يفهم عامة الناس هذه المراتب بسهولة أضرب لهم مثل إنسان يرى من بعد دخاناً كثيفاً.. فينتقل ذهنه من الدخان المتصاعد الى النار المستعرة، ويستيقن وجودها هنالك قياساً على ما يوجد بينهما من تلازم تام وعلاقة غير منفكة، إذ لا بد أن تكون النار حيث يوجد الدخان. فالعلم الحاصل من هذا الاستدلال المنطقي هو علم اليقين. وإن رأى وراء الدخان شهاباً قبساً، كان العلم الحاصل بالرؤية عين اليقين. وإذا أصلى نفسه في النار كان علمه بها عندئذ حق اليقين. وبناء على ذلك يشير الله الى أن الإنسان يمكن أن يعلم علم اليقين عن الجحيم في هذه الدنيا، كما أنه سيعلمها عين اليقين في عالم البرزخ، وحق اليقين في عالم المحشر.

[يتبع]

خطبة الجمعة يوم ١٠/٦/١٩٩٥

بمسجد الفضل - لندن

عرش الرحمٰن هو تجليات أسمائه الحسنٰى وحملة العرش هم عباد الرحمٰن الذين يشهدونها ويشهدون لها ويعملون على توطيدها في الناس

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به. ويستغفرون للذين آمنوا. ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم. ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم. إنك أنت العزيز الحكيم. وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته. وذلك هو الفوز العظيم﴾ (المؤمن)

بعد الافتتاحية تلا أمير المؤمنين - أيده الله بنصره العزيز - هذه الآيات من سورة غافر (المؤمن) ثم قال:

كتب إلي شاب من كراتشي يقول: إن فهم موضوع هذه الآيات صعب عليَّ، ولما كنتَ بصدد الحديث في موضوع صفات الله تعالى فأرجو أن تتناول هذه الآيات أيضا.. فقد تنفع بعض الناس الذين يجدون شيئا من الصعوبة في فهمها.

سأبدأ الخطبة بإعلانين: أحدهما عن الجلسة السنوية لأنصار الله في كندا، من الغد لثلاثة أيام؛ والثاني عن الجلسة السنوية لجماعة النرويج.. وقد ألحوا في أن أحضره بنفسي، ولم أستطع قبول دعوتهم بسبب ازدحام جدول أعمالي هنا.. لذلك أرى أن أوجه إليهم الحديث اليوم وأذكرهم.

فيما يتعلق بأنصار الله في كندا فإنهم لا يقدمون صورة منفصلة عن الصورة العامة للجماعة الأحمدية في كندا. فمن بعض الزوايا تظهر لهم بفضل الله تعالى صفات عظيمة، ومن بعض الزوايا الأخرى يبدو منهم شيء من ضعف لا يليق بالأحمديين في هذا الزمن. إذا ظهرت بعض أوراق الشجر في الخريف بلون أصفر.. فهذا موجود في كل الأشجار، بل يستغرب في الخريف أن تظل بعض الأشجار على خضرتها. أما في الربيع.. إذا اصفرت بعض الأوراق فهذا شيء مخالف للمعتاد. والجماعة الأحمدية الكندية مخلصة جدا، وهي في المقدمة من حيث البذل والتضحيات، ويشاركون في كل الأعمال الطيبة بحماس، ولكنهم ليسوا كذلك في مجال التبليغ.. مع أن هناك صحوة عالية في فروع الجماعة، حتى المناطق المجدبة في هذا المجال ظهرت فيها صحوة عظيمة.. ولذلك أقول لكم عندما يكون الفصل ربيعًا يستغرب المرء وجود الأوراق الصفراء.. فهذا مخالف تماما لتوقعات المسيح الموعود (س).

قال حضرته: في فصل الخريف هذا هناك ربيع في بساتيني. وهذا فعلا ينطبق على كل فروع الجماعة في العالم، وأصبحت هذه الصورة حية في كل مكان. هناك في باكستان، حيث وصل الاضطهاد أقصى مداه، ووضعوا كل عائق ممكن لديهم ضد الأحمدية لوقف نشاطهم التبليغي.. ومع ذلك فإن الصورة تتفق مع ما قاله المسيح الموعود عن قدوم الربيع. فلماذا تختلف الصورة في حدائق كندا؟ هذا أمر مقلق، ويجب أن يلتفتوا إلى ذلك جديا. إذا كان في الجسد السليم عيب واحد صغير فإنه يبدو واضحا. ولو كان عيبا كبيرا في جسد مشوَّه لم يظهر بوضوح. ولكن الحال هنا مختلف.. ففي الربيع تُرى صُفرة في بعض الأشجار! متى يبدو بعض الناس بوجوه هكذا في الربيع؟ لو كان الحال هكذا ما أحسست به كثيرا، ولكن وجههم ليس هكذا في كندا. ففي بعض الجماعات التي لا تزال التربية فيها عند المراحل المبكرة تُرى مثل هذه العلامات.. ولكن هنا.. حيث الخضرة في كل مكان.. لماذا هذه البقعة الصفراء في الوسط؟ إنها بقعة تؤذي العين.

لذلك أقول لجماعة كندا عموما، ومجلس أنصار الله خصوصا: انهضوا، إذا لم تتغلبوا على هذا العيب فسوف يتحول إلى مرض.. وخصوصا أن

الاتجاه العام في الدنيا مختلف عما تبدونه. أحيانا ينتشر الضعف والمرض ويلتهم الأعضاء السليمة أيضا. فانتبهوا، واعتنوا بمظهركم الصحي. هذا هو وقت الجماعة كلها، لا لفرد أو اثنين - فلننهمك جميعا في هذا العمل، وعندئذ تتلقون ثمارا حلوة.. تكون مصدر حياة للجماعة كلها. هناك ثمرات روحية.. لا تؤكل وإنما يُستمع بحلاوتها وطيب رائحتها. ونجد انتعاش الحياة في الجماعة بفضل الله حيثما قامت بعمل التبليغ.. حتى إن الموتى قد دبت فيهم الحياة. أناس لم يكن فيهم رمق من الحياة ولا رجاء فيهم.. ولكن تبين أنه عندما يصبح المرء داعيا إلى الله يحدث به تغيُّر كامل. هذا ما حدث في المانيا. فإن الذين قدموا من بيئة محرومة من التربية الروحية، ولم يكن عندهم برامج للتربية.. وأصبحوا دعاة إلى الله.. تغيروا تماما. إنهم يبتهلون إلى الله لأنفسهم ولأصحابهم الذين يبلغونهم، ويدعون لمن جاءوا إليهم كفاكهة حلوة.

هذه مسألة عظيمة الأهمية، وينبغي أن تركز جماعة كندا انتباهها على هذا الأمر.. لأن أنصار الله قد بلغوا مستوى من العمر تكون أيامهم الباقية عنده رحلة إلى الآخرة. الأطفال يتحولون إلى الخدام، والخدام إلى أنصار، والنصيرات يتحولن إلى عضوات في اللجنة النسائية.. ولكن الأنصار لو عاشوا ألف سنة فهُم في طريق الآخرة. ويروا بأعينهم أن الرحلة تمضي لتتوقف عند محط الآخرة. وهذه مسألة تثير الإهتمام بالنسبة لهم. إنهم لو كانوا لم يفعلوا شيئا في المراحل السابقة فعلى الأقل يسعون للكسب بقدر ما يستطيعون في مرحلة الأنصار.. حتى يكون بوسعهم تقديم شيء بين يدي الله عندما الوقوف أمامه.

يقول المسيح الموعود: أيها الرفاق النائمون، انهضوا واخدموا القرآن الكريم حتى يأتيكم النداء الأخير. وأنصار الله هم في مرحلة العمر التي يأتي بعدها النداء.. وهو نداء لن يسمعه الآخرون. فإذا فعلوا الخير بما يُرضي الله، وبذلوا جهدا طيبا، وكسبوا شيئا في هذا المجال.. فإن نداء السماء يأتيهم قائلا: «يا أيتها اللنفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية». يا أيتها النفس الراضية بحبي.. تعالي إلي وأنا راض بمحبتك. عند الرحيل تُسمع دعوتان: إحداهما من الناس حولك، والأخرى تأتي من السماء؛ فلماذا لا تعد نفسك لدعوة السماء.. بحيث يذكرك دائما في دعواتهم من كنت لهم سبب القُرب من الله، ويتمنون لو أنك بقيت بينهم، لأن رحيلك يحدث فراغا كبيرا؟

فليتذكر أنصار الله.. في أي سن يكونون، أنهم جماعة يموت منهم الجسد.. ولكن ينبغي لهم إذا مات الجسد أن يظلوا أحياء. الموت خسارة ولا شك، وليس بعده صفقة للأمل.. فأتعشم من أنصار الله في كل العالم أن ينصتوا إلى قولي هذا بعناية ويتفكروا فيه، ويحاول الضعيف فيهم أن يحيي نفسه. وأفضل وسيلة للإحياء أن يدعو الناس إلى الله. إن المدعو إلى الله ينال حياة جديدة، والداعي إلى الله ينال أيضا حياة جديدة. وقال لنا القرآن عن النبي ﷺ: استجيبوا لهذا الداعي إلى الله إذا دعاكم لما يهبكم الحياة. إن الحياة الروحانية شيء عظيم.. ينتفع منها المتلقي والمعطي أيضا. إن الذي يستطيع إعطاء الحياة الروحانية لا بد أن يكون حيًّا.. فالميت روحانيا لا يستطيع أن يهب الحياة. الذي ليس لديه ثمار روحانية، ويبتهل إلى الله.. يخلق الله معلِّما في داخله.. وينفخ فيه روحا جديدة. وأتوقع أن الجماعة كلها، وليس أنصار الله وحدهم، سوف تفي بمتطلب هذا العصر، أنهم سوف يحشدون كل قدراتهم في حقل التبليغ مصحوبة بالدعاء.

وفيما يتعلق بالنرويج.. فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية هناك - بفضل من الله تعالى - يتقدمون كل يوم بسرعة كبيرة، بما يملأ القلب بهجة حقا. إنهم يشاركون في الدعوة إلى الله.. وإن لم يكن بنفس مستوى تقدمهم في المجالات الأخرى، ولكن بحسب مقدرتهم. لقد سبقوا جماعات أخرى.. وتنصقل صفتهم هذه يوما بعد يوم، ويزداد عدد الداعين إلى الله من بينهم. وأتعشم من جماعة النرويج أن ينظروا إلى من لا يشاركون في نشاط التبليغ من المرضى أو الضعفاء أو السيدات اللاتي لا يستطعن بسبب السن أو اللغة.. ويكلفونهم بالدعاء، فيكون لهم نصيب من الخير. ويمكن أن يسهموا في العمل التمهيدي اللازم للتبليغ. وهذا أيضا جهاد. وهذا المجال أساسي. وليعلم الذين لا يفهمون الجهاد أن بالجيش عددا كبيرا من الضباط لا يقاتلون بأنفسهم، وإنما يشتركون في الترتيبات والتجهيزات من أجل الجنود المقاتلة. هناك من

يصنعون الذخيرة ومن يهتمون بالمعدات، ومن يعملون في النقل والتوزيع والصيانة، وهناك الإسعاف والإنقاذ والعلاج، وهناك التموين والمواصلات، وهناك الإنشاءات. وهؤلاء المعاونون أكثر عددا من القائمين بعملية القتال. من الغباء الظن بأن المقاتل هو الجندي الحقيقي وأن الآخرين ليسوا كذلك.. فالذين يعملون في الخدمات أيضا جنود. وفي الجماعة لا بد من انتاج المنشورات والبرامج للفيديو وكثير من التجهيزات.. وقد بينته لكم من قبل.

وفي النشاط الروحانى أيضا يحتاجون إلى من يجلسون خلف الصفوف ويعملون. مثلا في قناتنا الفضائية هناك من العاملين من يخصصون قسطا طويلا من يومهم، ويتعجب المرء.. أين يجدون الوقت لأعمالهم الأخرى؟ إذا زعم أحد أن هؤلاء لا يقومون بالتبليغ فقد قال سُخفًا.. لأن كل هؤلاء معاونين كبار. أقسام الجماعة الأخرى يقومون بالواجب التبليغي عن طريق آداء واجباتهم.

وفيما يتعلق بالتربية أيضا فإن خدمات التموين بالطعام للقوات المتحركة إدارة عظيمة.. وقد اعتبر المسيح الموعود مهمة التموين هي الفرع الخامس في «فتح إسلام» أو نصر الإسلام.. وهو صفٌّ مساو للصفوف الأخرى، وسماه «لَنْجَرْخانة» أي فرع التموين بالطعام. وأعرف أن الدعاة إلى الله الناجحين في دعوتهم.. لزوجاتهم دور وفضل في هذا النجاح، لأن الزوار يأتون على موعد وعلى غير موعد.. وإذا لم يجد الداعي إلى الله تعاونًا من زوجته، فتشكو: لماذا تسبب لي هذا الانزعاج، وتجادل مع زوجها وتدع الأطفال يبكون.. فإن الزائر سوف يفر. ولكن هناك زوجات يعملن ليلا ونهارا في هذا السبيل، تعد الطعام وتحسن المعاملة فيكسبون قلوب الناس.

فالدعوة إلى الله لا تقتصر على تبليغ الكلمة.. ولكنها تتضمن الوفاء بكل متطلبات المناسبة، وكل الخدمات التي تساند الداعي إلى الله. وفي هذه الحالة يكون المشاركون جميعا دعاة إلى الله. فإذا عملت جماعة النرويج على تنظيم هؤلاء الذين لا يتحدثون اللغة أو بهم ضعف يحول بينهم وبين الخروج إلى معركة التبليغ.. فإنهم سوف يسدون حاجات كثيرة.. ويكونون مثالا يُحتذى به للجماعات الأخرى.

هناك أيضا مسألة الترجمة، وكانت تقوم بها سيدة نرويجية ثم انسحبت، وعند هذه المرحلة الصعبة قلت لجماعة النرويج: هذا تحدٍّ لكم. إن أولادكم بفضل الله متميزون في اللغة النرويجية وقد أدهشوا المعلمين المحليين وتقدموا على المواطنين، كما أن آباءهم علَّموهم الأردية. فالوسائل عندكم. جهزوا منهم فريقًا وإن كانو صغار السن. والأمير هناك، جزاه الله خيرا، يقوم فورا بكل ما يكلَّف به، ودرجة طاعته أنه لا يدع لحظة تمر دون أن يقوم بعمله، فاتصل بهذه الفرق وأسرعوا بالترجمة حتى خشيت أن تكون على مستوى غير جيد، ولكن تبين أنها ترجمة جيدة، ليس فيها أي ضعف. هكذا أعطاني الله سبحانه هذه الأجيال التي تعلمت اللغات المحلية والأردية والإنجليزية أيضا، وأمكن الوفاء بهذه المتطلبات التي أهمَّتنا، وساعدنا الله على الوفاء بها.

وها هي الأجيال الصاعدة قد كرست جهودها وتتقدم دائما عند الحاجة إليها.. بما لم نر له مثيلا في العالم من قبل. الأطفال هنا في أوروبا لا يحافظون على علاقاتهم حتى بآبائهم أو بيوتهم. ولكن أطفالنا بالتربية الدينية - التى يحسبها الناس فكرا قديما - عندما يسمعون عن اجتماع يأتون أو يكتبون الرسائل ويصرون على طلب الفرصة ليقدموا خدماتهم. وفي هذا الصدد لم يتأخر أحد هناك عن القيام بهذه الخدمات. وهذا أيضا جانب من الربيع الذي ذكره المسيح الموعود وقال: أقبل الربيع، فاستيقظوا، وانسوا الخريف.

عندما يحل الربيع فهناك مزيد من الإزهار والإثمار. فعلى الجماعة الإسلامية الأحمدية بالنرويج أن تلتمس المغفرة من الله، ويتنبهوا إلى أولئك الذين - من فرط اهتمامهم بالدعوة - ينسون الأساسيات، مثل أداء الصلوات في مواعيدها، وترجمة الأدعية لحفظها وفهمها، وقراءة القرآن، والأخلاقيات المبدأية. أحيانا تُنسى هذه الأمور.. وإن لم أرها بنفسي فيهم. ولكني عندما كنت في باكستان رئيسًا للمجلس كانت تصلني الشكاوى من أن المجالس العاملة (التنفيذية) تنعقد في مكتبها بينما صلاة الجماعة في المسجد. فغضبت منهم وقلت: لقد كان اختياركم لهذا الغرض. هذا هو الهدف الرئيسي لانتخابكم.. كي توطدوا إقامة الصلاة. إن

المحافظة على صلاة الجماعة هو السمة الدائمة والهدف الأسمى لخلقكم. إذا سمح الله بنوع من الرخصة فلا بأس من الانتفاع بها.. كأن تكون هناك ضرورة أو سفر أو مناسبات يسمح بها بجمع الصلوات، فلا خطأ في ذلك.. ولكن لا يجوز أن يستمر اجتماع المجلس التنفيذي بينما صلاة الجماعة قائمة في المسجد. من اللازم عند نداء الصلاة أن يلبي الجميع النداء ويصلُّوا معا.. إلا إذا كان نظام الجماعة يكلفهم بمسئولية معينة.. ففي هذه الحالة يصلُّون جماعة في وقت لاحقٍ ويرتبون النظام الذي يمكنهم من ذلك.

فنصيحتي للنرويج هي أن يشركوا من لا يعملون الآن في العمل كما أوضحت لكم. كما يجب أن تهتموا بالصغار اهتماما خاصا، وتزودوهم بالتربية الأساسية اللازمة، وتراقبوا جدارة عملهم وأنهم يعملون ما يحتاجه إيمانهم. إذا كان الإيمان موجودا ولكنه غير مزوَّد بالأعمال.. فإن الإيمان يذوي مع الوقت. إن الإيمان يحيا بالعبادة. ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.. فالمؤمنون يقيمون الصلاة، وينفقون في سبيل الله. وهذا المعنى البسيط للآية يحيط بكل مجالات الخدمة.

فأرجو أن الجماعة الأحمدية بالنرويج بصفة خاصة تولى اهتماما خاصا بهذا. وإذا فعلت فإن الأعمال الصالحة سوف تنال الخلود.. لأن هذه الصالحات تجد الحراسة والحماية من العبادة. ولقد ذكر القرآن هذه الخصائص، وبيَّن أن أعظم تربية أن ينشأ الإنسان على إقامة الصلاة في جماعة.

ومن الضروري أن يفهم المصلي ما يقوله في صلاته، ويعرف معنى ما يتلوه. إن في مواضيع الصلاة ذخيرةً عظيمة للتربية تفيد الإنسان وتسارع في رقيِّه. إذا عرفتم معناها فهمتموها وتفكرتم فيها، وإذا تعودتم تدبرها انفتحت لكم طرق جديدة وتنالون طعاما روحانيا لا ينفد. عسى الله تعالى أن يمنح الجماعة كلها في العالم أجمع المقدرة على النظر في كل هذه النقاط والعمل بمقتضى هذه النصيحة.. التي قدمتها لجماعتي كندا والنرويج. وينبغي أن تلتفت الجماعة كلها إلى هذه الأمور.

يقول الله تعالى أن أولئك الناس الذين يرفعون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم.. أي يتغنون بمحامده. والتسبيح يعني إعلان تنزيه الله من كل نقص أو ضعف، ويشهدون أن ربهم خال من كل عيب. إنهم يرون العالم بكيفية تجعلهم متأكدين أنهم لا يرون في تجليات الله تعالى أي عيب. هذا مفهوم تسبيح الله.. وهو موضوع واسع. وإذا لم يكن هذا المعنى ملازما لفكر المسبِّح فإن ترديد بعض الكلمات لا مغزى له. إذا قلت عن شخص أنه لا عيب فيه.. وأنت لا تعرفه ولا تقضي معه إلا لحظات قصيرة.. لا تكاد تعرفه ولا تعرف عاداته ولا محيطه.. فلن تقبل أية محكمة في العالم شهادتك في حقه. لا يناسب كرامة الله تعالى أن يقدم الشهادة عنه أناس يجهلونه. ولذا فالشهادة هنا صادرة من المؤمنين المخلصين في اعترافهم وإعلانهم عن الله.. الذين قضوا حياتهم يلاحظون تجليات الله عز وجل بصفاته الحسنى، وقد رأوها دائما منزهة عن أي نقص أو خلل. هؤلاء هم المذكورون هنا في الآية.. فهم لا يرون الله تعالى منزها فقط من كل عيب في تجلياته.. ولكن يرون صفاته الإيجابية تتجلى في هذا الصدد. إذا قيل عن شخص أنه لا ينظر إلى أحد بشهوة فهذا إعلان ينزهه من الضعف في مجال واحد فقط؛ وإذا كان نظره لا يتجه إلى رؤية الأشياء الطيبة الأخرى، ولا يرى جمالات الله كما تبدو في الكون، وكيف أبدى الله محاسنه.. فهذا ليس جدارة في هذا الشخص. إذا كان المرء بريئا من نظرة الفسق، وأيضا ترى عينه جمال الله.. فهذا يضيف مزيدا من المجد إلى المشاهد التي يراها.

فالقوم الذين ورد ذكرهم هنا هم الذين يرون تجليات الجمال الإلهي، ويقدمون شهادتهم بأنهم في كل مرة يرون تجليات الله تعالى لا يلحظون فيها عيبا أو نقصا. وفوق ذلك فإنهم يرون الجوانب الإيجابية منها، ويرون جمالها وفضلها. يقول الله عن هؤلاء الشهود إنهم يحملون العرش، ويؤمنون به.. أي فيهم إيمان عميق به سبحانه. وهذا تعبير جميل في الآية.. إذ قدمت شهادتهم أوّلاً، ثم ذكرت إيمانهم.

والسؤال الآن: ما هو العرش؟ ومن هذا المنطلق.. أخبرنا عن معنى رفع العرش. ولسوف أبين ذلك إن شاء الله.. ولكن من اللازم أن ننظر في هذه الآية من مختلف زواياها.

فما هي النقاط التي ينبغي ملاحظتها هنا؟

أولا- أن الإيمان لم يذكر سابقا بل جاء ذكره لاحقا. وفي هذا حكمة.. لأنه إذا كان هناك إيمان أولا فإن إيمان المرء بقائد مقدس يجعله يؤمن بأنه منزه عن النقص. وهذا هو شكل الإيمان عند معظم الناس. فالذين يؤمنون بالله، بل وبالأنبياء أيضا.. يؤمنون بهم فينظرون إليهم نظرة سامية، ويتحدثون عن عظمتهم بسبب إيمانهم، وليس نتيجة لملاحظة صفاتهم. إنهم ينزّهونهم عن النقص لأنهم يؤمنون بهم، وإذا مسَّ أحد نزاهتهم هذه ثاروا عليه فورًا وربما قتلوه. إنهم لا يعرفون معنى النزاهة والبراءة؛ ولذلك فإن المؤمنين الذين يشهدون ببراءة من يؤمنون بهم بدافع من هذا الإيمان يختلفون. ولكن الله يذكر هنا أولئك العظماء، ذوي النظر العميق، الذين يشهدون شهادة مؤكدة قائمة على كل متطلبات إثبات الشهادة. أنهم في مراقبتهم لتجليات الله تعالى لم يجدوا شيئا معيبا، ولم يلحظوا نقصا، وفضلا عن ذلك رأوا محاسن الله من كل نواحيها الإيجابية. يتحدث الله عن هؤلاء ويقول إن إيمانهم عميق.. وهذا هو ما يسمى «حق اليقين». الشهادة بناءً على الممارسة. إن حال من يشرب شرابًا باردا زُلالا يختلف عن حال من يرى غيره يشرب ويرتوي. هؤلاء الناس الذين يتكلم القرآن عنهم هنا.. لهم الحق في أن يستغفروا. لم يقل الله هنا أنهم يستغفرون لأنفسهم، وهم بالطبع يستغفرون لأنفسهم، ولكن القرآن يذكر مقامهم الأعلى فيقول: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾. يسألون المغفرة لمن لاذوا بالإيمان.. ومن بين هؤلاء مَن هو نسبيا ضعيف أو قوي ومن كل صنف، ولذلك يهتمون بهم ويلتمسون المغفرة من الله لهم، فربما يؤذي الضعفاء أنفسهم بسبب جهلهم، ويحرمون أنفسهم من مغفرته. إنهم يَحملون هموم الآخرين. وهذا يبين أن النبي ﷺ عندما كان يلتمس الغفران من الله، ويداوم على الاستغفار.. كان ذلك في الواقع من أجل أولئك الناس الذين أحس بمسئولية عنهم، وألقيت عليه مسئوليتهم.

والآن أتحدث عن معنى ﴿يحملون العرش﴾. لقد كتب سيدنا المهدي في هذا الموضوع، وأكدَّ أن الله تعالى لا يعتمد على أحد ليحمل عرشَه. إذا كان الله مستقرا على العرش فربما ظن أحد أنه يعتمد على من يحملونه.. مع أنه ذكر في القرآن مرارا أن الله تعالى يحفظ كل شيء. ما من شيء يستطيع أن يثبُتَ وحده ويستقرَّ بدون عون من الله.. فمن هذا الذي يحمل عرش الله؟

لقد وضّح سيدنا المهدي بجلاء أن العرش ليس مخلوقا.. لأن الله تعالى عندما يتحدث عن الخلْق لا يتحدث عن العرش، بل يذكره بعد ذكر الخليقة. فهل خلق الله كرسيَّه؟ وإذا لم يخلقه وكان أزليا لكان شريكا له في الأزلية. ولذلك اتفق العلماء على أن العرش ليس مخلوقا. إنه ليس مخلوق لأنه صفة.. والصفات لا تكون مخلوقات. لقد فصَّل سيدنا المهدي هذا الموضوع بما يساعدنا على فهم معنى ﴿يحملون العرش﴾. قال إنهم عباد الله المؤمنون.. الذين يقدِّمون كل ما لديهم من قوة تمجيدا وتعظيما لله تعالى، والمستعدون لحمل هذا العبء من أجل توطيد عبادة الله على الأرض.

فإذا فهمتم معنى دعائكم ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ فهمتم معنى 'حمل العرش'. معنى الدعاء: يا ربنا نحن حملة عرشك.. فامنحنا القدرة على توصيل فهْم صفاتك للناس حتى تسري فيهم سريان الدم في العروق. اقبلْنا لهذه المهمة، ووظِّفنا فيها، وكلِّفنا من أعبائها بقدر طاقتنا وليس أكثر. والذي تحمل هذا العبء بالقدر الأعظم من أي إنسان آخر هو سيدنا المصطفى ﷺ. ولذلك يفسر بعض المفسرين كلمة 'عرش' بأنهم ملائكة.. لأن هذه الكلمة مذكورة هنا.. ولكنها لم تذكر هكذا. فالحملة الحقيقيون للعرش هُم محمد المصطفى ﷺ والذين اتبعوه.. لأن الله تعالى تجلّى بكل شدة على قلب المصطفى ﷺ. لا يمكن لعاقل أن ينكر ذلك. إنه موضوع لا خلاف عليه بين المذاهب والفرق.. لأنه بوسع كل إنسان ملاحظة أن الكيفية التي ذُكرت بها صفات الله في القرآن لم ترِدَ في أي كتاب ديني آخر أثارةً منها، ولقد ذكرها سيدنا المصطفى ﷺ ثم أظهرها في صفاته البشرية.. بشكل لا نظير له في أي إنسان آخر. فالحمد الحقيقي لصفات الله هو فهم هذه الصفات المحمدية وإظهارها في نفس الإنسان.

ورد في أول هذه السورة (سورة المؤمن) أوّلا ذكرُ أولئك الذين رفضوا رسالة الأنبياء، ثم بعده جاء ذكر الذين قبلوا هذه الرسالة، وأصبحوا ممثلين لصفات الله تعالى. فذكر العرش يشير إلى صفات الله تعالى. تقول السورة من بدايتها: ﴿حٰمٓ* تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم* غافر الذنب وقابل

التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير». هذه الآيات في كتاب الله المتصف بالعزة والعلم، الذي يغفر الذنوب ويقبل التوبة.. ولكنه ذو قبضة شديدة تصل إلى كل مدى. وقد ذكرت الآية عِظم مغفرته حتى فسرها سيدنا المصلح الموعود بقوله: إنه تعالى 'عظيم المغفرة' ولكن لا تتجاسروا عليه بسبب ذلك وتنحرفون عن سبيله.. فهو شديد الحزم ولا يفر أحد من قبضته. مع أن القبض على الناس ليس صفتَه الغالبة، إن صفته الغالبة هي الفضل والإحسان والمغفرة. ففي صفة 'ذى الطول' تكمن كل معاني العظمة. وإليه المصير.. ستعودون إليه، فلا تنسوا ذلك.

«ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد». فالذين لهم عقل وفهم وحكمة لا يتجاسرون على رفضه وصفاته، ولا يفعل ذلك إلا الكافر الذي يجادل في وجود الله تعالى، ويتلفظ بأقوال سخيفة، ويحاول الاحتجاج ضده. في هذه الدنيا.. يتحرك هؤلاء بحُرية. إن لهم القوة، وعندهم الحرية في التصرف هنا وهناك، ولكن لا تسيئوا فهمَ ذلك.. لأنكم ترون مصير الذين كانوا من قبلهم، وماذا جرى لهم عندما كفروا بآيات الله.

«كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم. وهمت كل أمة برسولها ليأخذوه. وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم. فكيف كان عقاب». قبلهم كان قوم نوح وأقوام أخرى من بعدهم.. كذبوا بآيات الله. الأمم الذين جاءتهم الأنبياء حاولوا وفعلوا كل ما في وسعهم وبكل قوتهم واستقر عزمهم على القضاء على أنبيائهم ومحاربتهم بالباطل.. لأن كل حججهم قائمة على الباطل. وتستطيعون معاينة ذلك بالاطلاع على صحف باكستان.. فهي في حربها ضد رجال الله تسود صفحاتها بالباطل، وحتى هنا في بريطانيا.. جريدة 'جانغ' وغيرها.. تفيض بالأكاذيب من كل نوع؛ ولو قالوا شيئا من الحق لخلطوه بكثير من الباطل. لم أصادف أحدًا من خصوم الجماعة الإسلامية الأحمدية متصفا بالأمانة التامة. إنهم عندما يذكرون الجماعة يلجأون إلى الكذب كما يلجأ الطفل إلى لبن أمّه. يصفهم القرآن بأنهم «جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق». لو نظر إلى الموقف من يعقل أو له نصيب من الحكمة.. سواء كان من باكستان أو من أي مكان آخر.. ورأى كيف يلجأ أعداء الجماعة إلى الباطل.. لكان في ذلك وحده الكفاية ليعرف أننا على الحق. وهنا يبيِّن الله تعالى القانون الأزلي: إن محاولة القضاء على الحق تعني بالضرورة اللجوء إلى الباطل. ولكن هل من الممكن أن يتغلب الباطل على الحق؟

يقول الله تعالى إنهم هموا بالقضاء على رسلهم.. ولكني أخذتهم قبل ذلك. كأن شخصًا يجري وراء أحد ليمسك به.. ثم امتدت يدٌ من السماء والتقطته، ورمت به في حفرة الدمار. هذه هي الصورة التي يقدِّمها لنا القرآن الكريم حيث يقول: «فأخذتهم، فكيف كان عقاب» أرأيتم، مهما كانت محاولاتهم.. فقد أمسكتهم ونزل بهم عقابي.

هذا هو الموضوع الذي لو فكروا فيه.. فلا بد أن يصل الكفار إلى أن مصيرهم النار.. لأن هذه هي العادة والأعمال المؤدية إلى النار. إنهم يتخذون من الأكاذيب والأباطيل سلاحا يعتمدون عليه في مواجهة الحق. فإذا فكروا ولو قليلا لقالوا في أنفسهم: كيف نحارب الحق بالباطل؟ ويقول الله: إن هذا التفكير سوف يبين لهم أن مصيرهم إلى النار. إن رجال الله يأمرون بالحق ويفعلون ذلك بالحق. يقول الله «وتواصَوا بالحق وتواصوا بالصبر» أي يوصون الناس بالصدق والأمانة.. وهم يفعلون ذلك متصفين بالصدق والأمانة، وملتزمين في ذلك الصدق والأمانة. وهكذا جمعت آية واحدة بين الزاويتين: يقولون الحق ليحثوا الناس على قول الحق. ويتعاملون بالأمانة ليوصوا الناس بالأمانة. وبهذا وضح تماما أنه كان على هؤلاء الناس أن يتفكروا ويعرفوا أن الحق لا يحتاج إلى باطل يسانده ويؤيده، وأن ما يظنونه باطلا فهو يحتاج إلى الحق ليصححه. فإذا فكروا في موقفهم واستخدامهم الباطل لعرفوا أنه طريق يقودهم إلى النار.

ثم يقول الله.. وعلى عكس هؤلاء.. هناك المؤمنون، وعلى رأسهم سيدنا محمد المصطفى ﷺ.. الذين أخذوا على عاتقهم تلك المسئوليات اللازمة لتوطيد صفات الله تعالى في الدنيا. إن صفات الله هي الموجودة في قلوب هؤلاء المؤمنين. وعلى قلوب المؤمنين يتجلى الله تعالى بصفاته. إنهم حملة عرشه.

لقد انتهى الوقت ونستكمل الموضوع في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى.

ندوة علمية لإمام الجماعة - أيده الله

مع إخوة من المملكة المتحدة

تمت باللغة الأردية بتاريخ ٢٩/٩/٩٥

سؤال : سيدي، سؤال من طالب بالصف السابع من لاهور، يقول : ورد في الحديث أنه بعد مجيء الإمام المهدي والمسيح الموعود سوف تهب رياح باردة لفترة.. إلى أن يتغلب الشر على الخير، وعندئذ تقوم القيامة. وسؤالي لماذا يكون الشر غالبا على الخير عند حلول القيامة.. مع أن نهاية الدنيا يجب أن تكون على الخير؟

جواب: طيب، عندما يتلاشى الأبرار تكون الدنيا قد انتهت، أما هذا الذي تقوله فهو تتمة للنهاية. إن حلول القيامة على الأشرار يتضمن حكمةً إلهية خاصة، هي بيان أن الخير وحده هو الذي له قيمة ووزن عند الله، ولا قيمة للشر عنده. لذلك سوف يرفع الأبرار في وقت حسن قبل حلول القيامة، ثم يبقى الأشرار الذين سوف يعاملهم الله كما يشاء.

ولكن هذا لا يعني أن الشر قد تغلَّب على الخير، فالكثرة ليس اسما للغلبة في الحقيقة.. لأن القرآن يخبرنا في مواضع عديدة أن الأكثرية عارضوا الحق في معظم الأحيان. فيجب أن نرى: هل إنكار الأكثرية علامة للغلبة؟

صحيح أن الشر له تفوقٌ على الخير بصفة عامة.. بمعنى أنه أسرع نفوذا وجاذبية من الخير، ومثال الشر كمثل شخص ينزل من مكان مرتفع.. فإنه يهبط بدون بذل مجهود، وتجذبه القوى الطبيعية إلى أسفل بشدة، ولو أنه ترك نفسه تنجذب إليها فلا أحدَ يستطيع الحيلولة دون نزوله.

هذه هي علامة الغلبة.. تلك هي الغلبة التي لها قدْر وقيمة. وإلا كان تحوُّل الأشياء ترابا يعني غلبة للموت.. فالموت سائد في كل جهة بهذا المعنى. ولكن استثناء الحياة يدل أن في الحياة قوة. إذن فعندما يضعف أصحاب ملكات الحياة نسبيا ويقلون عدديا، أو يصيب الصدأ ملكاتهم بمرور الوقت، فإن الله سوف يرفع من بينهم الأبرار، قبل حلول وقت يطوي الله فيه صف البشر غضبًا عليهم. هذا موضوع دقيق وعميق.. ربما يصعب فهمه على طالب من الصف السابع، ولكن صاحب السؤال يبدو ذكيا.. لذا أرجو أنه سيفهم جوابي.

سؤال : سيدي، منذ الحرب العالمية السابقة لا تزال كل البلاد الإسلامية تقريبا تتعرض للاضطهاد بطريق أو آخر، أحيانا على يد القوى الخارجية وأحيانا أخرى بسبب أخطاء تقع فيها.. مثلا ما لاقاة العرب في فلسطين، وما حل بمسلمي كشمير، وما وقع بين العراق وإيران وبين العراق والكويت، وما يحدث في أفغانستان؛ فما هي الحكمة أو السبب وراء نزول هذه الآفات بالمسلمين؟

جواب : يجب البحث في أحوال المسلمين عن سبب الآفات الواقعة بهم. هناك ظاهرة عامة لدى الأمم، فكلما تعرضت أمة للإدبار والنكبة والذلة باستمرار.. فإنهم يلقون باللوم على غيرهم بأن هؤلاء هم السبب. فهُم مثلا هذه الأيام، بل منذ فترة طويلة، يلقون المسئولية على الانجليز عند كل مصيبة وشر. ثم ضمُّوا إسرائيل والآن أمريكا أيضا إلى قائمة المتهمين. أما الإنجليز فإنهم يُعتبرون مسئولين باستمرار عن كل شر وبلاء.

والسؤال الآن، ما هي القوة التي ينفرد بها الإنجليز حتى يتغلبوا بها على الحق في كل مرة؟ يدوسون الحق ويهينون أهله.. لدرجة أن يشهد قرنان من الزمان على أنه كلما أراد الإنجليز الإساءة إلى الحق هان الحقُّ دائما، وكلما حاولوا الشقاقَ بين أهله تمكنوا من ذلك في كل مرة !!

هذه إحدى النتائج التي يمكن أن يتوصل إليها البعض. ولكن المشايخ وغيرهم ممن يبحثون عن كسب الصيت بثمن بخس.. يرفعون مثل هذه الشعارات الفارغة، ويلقون باللائمة على الإنجليز. وهؤلاء المشليخ إما أنهم غافلون تماما عن الظروف الحقيقية، أو يريدون عقد صفقة للصيت ببذل ثمن قليل، حيث يوجهون الأنظار إلى حيث لا يجد شعبُهم أي شفاء لأمراضهم. لم تنفع مشورتُهم الشعبَ أبدا. لقد خلقوا مثل هذه التيارات المعادية للأجانب في العالم الإسلامي مئات المرات.. ولكن لم يكسبوا من هذا شيئا في أية مرة.

فهذا التحليل لأسباب البلاء خطأ. وهو خطأ - ليس لأن الإنجليز لم يعادوا المسلمين أو لا يعادونهم الآن.. فأنا لا أنكر عداء الانجليز، ومع ذلك فإن هذا التحليل خاطئ - ذلك لأنه لو كان المرض الموجود بجسم المريض يدعو أنواع الآفات الأخرى لمهاجمته حتى تقع عليه صنوف الجراثيم.. فلن يفيد المريض عندئذ أن يبدأ في سب الجراثيم. إنه ما لم يعالج المرض المتمكن من جسده، وما لم يُعط طاقة كافية لمقاومة الجراثيم، وما لم يتخلَّ عن عيوبه، وما لم يستجمع جميع قواه، وما لم يقم لمحاربة المرض كجسدٍ صحيح.. فلا بد أن تنهشه الجراثيم في كل حال.

ثم إن من الغباء إلقاء اللوم على الإنجليز وحدهم. الجميع أعداء للاسلام. ليس الهندوس أقل عداءً.. فهم كلما وحيثما وجدوا فرصة أضروا بالمسلمين. ونفس الحال بالنسبة للأمم الأخرى كلها. كلما وجدوا فرصة لإيذاء المسلمين ألحقوا بهم أضرارا.

ماذا حدث في بورما؟ لماذا لا يرون ما يجري في بورما؟ إن الحكومة هناك قد اضطهدت المسلمين باستمرار لفترة طويلة، ولم تسمح لهم بالنهوض.

وفي منغوليا أهانوا المسلمين لدرجة أن اسم المسلم لا يعتبر شرفًا لأحد هناك. كان بمنغوليا عدد كبير من المسلمين. كان هناك حوالى ١¼ مليون مسلم ألقت بهم روسيا إلى هناك من تاجكستان وغيرها من الولايات المسلمة في روسيا. كان لهم فى منغوليا قوة كبيرة ومساجد كثيرة، ولكن الحكومة المنغولية دفعت بهم إلى الحضيض، ودمرت المساجد فلم يبق منها إلا أنقاض. ولم يبق للمسلم هناك كرامة، بل صار اسم المسلم سُبَّة. لذلك فقدوا وحدتهم وتشتتوا وتشردوا، ولم يبق منهم إلا حوالى مائة ألف، ولكن ليس لهم أية قوة ولا نشاط واتحاد. لقد اتصلنا بهم، ولكن ليس بهم همة ولا رغبة في النهوض. ويحاولون الامتزاج بالآخرين بدون أية هوية إسلامية لهم.

لماذا لا يستطيع المشايخ وغيرُهم رؤية هؤلاء الأعداء؟ البوذيون أعداء للإسلام، وكذلك الهندوس والمسيحيون واليهود. وهناك اتجاه لاضطهاد المسلمين وإهانتهم في كل بلد يشكِّل فيها المسلمون أقلية. فلا يصح والحال هذه أن يقال أن الجرثومة الفلانية تعادينا، بل الحق أن المريض يواجه عداوةَ الجراثيم من كل الأنواع. الذي فقد القوة والحصانة تكثر أمراضه. إذا لم يكن مصابًا اليوم بالسل فسيصاب به غدا. ويصاب أيضا بالدوسنتاريا، أو بالأتيميا، أو بتعب الكبد، أو فشل في الكُلى.. فالجراثيم تتربص به وتهاجم كل عضو منه.

ثم إن الأمم المريضة تموت بعض أعضائها كما يحدث للمريض أحيانا، وعلى هذه الأجزاء الميته تهجم الضواري والكواسر من ذئاب ونسور من طرف وصوب لتنهشها بشراسة.. فلا تملك أمامها شيئا. ولقد رأى العالم مناظر مؤلمة من هذه الشراسة ضد المسلمين.. كما حصل بفلسطينين. فقد جاء عليهم أوقات قام اليهود علنا وبدون أى تردد أو خوف من أحد بوحشية وبربرية ضد الفلسطينيين العزل من السلاح في مخيماتهم فمزقوهم إربا وفرقوهم أشلاء.

وتكررت هذه المأسي في لبنان. فهل كان لأحد أن يرفع أصبعًا للاحتجاج على ذلك أو يستطيع وقفها؟ لماذا فعلوا ذلك؟ لأنهم رأوا هذا الجزء من جسد المسلمين قد مات، فلينهشوا لحم هذا الميت.

كل هذه مشاهدُ مؤلمةٌ للغاية؛ وهى مؤشرات إلى أمراض داخلية في المسلمين، ولكنهم لا يولونها اهتماما، ولا يزالون يشتكون: لماذا تحل بنا نحن المسلمين كلُّ مصيبة؟ أو كما قال الشاعر إقبال: 'كلما نزلت صاعقة نزلت بالمسلمين فقط'.

إذا كانت الصاعقة تصيب المسلمين وحدهم.. فهل الله تعالى هو المخطئ؟ هناك قوتان خارجيتان مؤثرتان يمكن أن يتهموهما: الله أو الإنجليز. والأمة التي تعرضت لعداء من الله ومن الانجليز أيضا.. فماذا يكون مصيرها؟ الحق أن الأمم الأخرى أيضا أعداءٌ لهم ولكنهم لا يدركون ذلك.

الواقع أن الوَحدة هي المدار لنظام الحياة. لولا الوحدة لفقد نظام الحياة مركزيته. يفقد الجسد عندئذ الملكات المركزية. فلا يعود المركز العصبي بالمخ يعمل بنظام، والقلب مركز الدورة الدموية لا ينبض بنظام. ولو كان بالجسد أثر من الحياة لكان مثل حركات تظهر هنا وهناك فى فخذ الفروج المذبوح. هكذا - بدون الوحدة - يضطرب الناس اضطراب الذبيح. وحالتهم هذه بمثابة دعوة مفتوحة للجميع كي يفعلوا بهم ما شاءوا.

إنهم لا يُعيرون إهتماما للبحث عن هذه الأمراض أسبابها. بل هناك عنصر ثالث يهتمون به.. وهو الأحمدية. هناك في باكستان من المشايخ الجهلة مَن أعلنوا أنه لو اضطربت سمكة فى المحيط الهادي لكان

للقاديانيين يد في ذلك ! وكأن هناك ثلاثَ قوى قد اتحدت ضد المسلمين - والعياذ بالله. الحق أن الشيخ هو المسئول عن اضطراب السكمة الروحانية. إنه هو الذي أوقع الظلم بالقوم ثم وجَّه اهتمامهم إلى ناحية أخرى. إذا كنتَ مصابا في العين وداويتَ رُكبتك فلن ينفعك هذا شيئا. إن المركز مختل: مخكم مريض وقلبكم مريض؛ وأشد علة وأفتك مرض فيكم هو الشيخ التعس.. الذي كان واجبه أن يحافظ على المثل الدينية، لأن المثل الدينية هي التي تبني الأمم وتجمعُها.

إن الانبياء لا يستطيعون إحياء الأمم بالنظريات وحدها، لأن الأمم تموت رغم وجود النظريات بينهم. إن التوحيد موجود بين المسلمين في أكثر البلاد لا شك، ولكنه مجرد عقيدة فقط؛ وإن القرآن موجود بينهم لا ريب، ولكنه مجرد تعليم فقط. ونجدهم مؤمنين بالتوحيد وبالقرآن وباليوم الآخر أيضا.. فلماذا لا نجد فيهم قوة إذن ؟ لقد وضح لنا القرآن هذه المسأله أيما توضيح.

لقد بيَّن القرآن الكريم أن 'الكلمَ الطيبَ' عقائدُ تَهَب الروحَ نقطةَ حياة مركزية. وهذ العقائد أو الكلم لا تقدر على الصعود ما لم يزوِّدها العملُ الصالح بقوة ترفعها. فالعقائد سماويةٌ بلا شك، ولكنها تئنُّ على الأرض إذا لم تصحبها قوةُ العمل. باتت الأعمال الصالحة مفقودة.. ولكن لو سئل المشايخ : ما الذي يهدد الإسلام، لقالوا على الفور: الإسلام مهدَّد فقط من القاديانيين ! مهما تعاطيتم خمرا، وفعلتم شرا، وامتص بعضكم دماء بعض، ومارستم سفك الدماء بلا هوادة، وأفسدتم أخلاق الصغار، وسطوتم على ممتلكات الناس، وجمعتم الأموال بالرشوة، ونشرتم المظالم في كل الشعب، ومهما ارتكبتم من ظلم وجور.. فإننا - نحن المشايخ العالمين بالدين - نؤكد بالرغم من كل هذا أنكم لو كلتم السباب لمرزا غلام أحمد القادياني، واضطهدتم أتباعه ولم تُطيقوهم.. فسوف تستقبلكم الملائكة عند الموت إلى الجنة بحفاوة كبيرة؛ ولكنتم مسلمين مخلصين. هذا هوملخصُ تعاليمهم. أقرأوا الصحف تجدوا هذا فيها. وكلما عقدوا اجتماعا يعلنون هذا فيه باسم الإسلام.

ولكن ماذا فعل الأنبياء يا تُرى ؟ إنهم حضُّوا على الأعمال الصالحة، وضحُّوا لأجلها. لقد جعلوا الناس يعملون الصالحات، ووهبوا لهم بذلك حياة جديدة. ولقد اشترط القرآن في كل مناسبة اقتران الإيمان بصالح الأعمال. ما ذكر الإيمان إلا وأتبعه بذكر الأعمال الصالحة. حتى الأمم الأخرى التي لم تبلُغهم رسالةُ الاسلام، والتي لم توفق إلى قبول صدق الإسلام.. لقد صرح عنهم القرآن أنهم - مهما كان دينهم - إذا عملوا أعمالا صالحة بحسب إيمانهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.. إذا كانوا مؤمنين أيضا بيوم الجزاء والعقاب، بمعنى أن يكون الإيمان بيوم الجزاء والعقاب مراقبًا لأعمالهم. هؤلاء لا خوف عليهم ولا حزن.

فالمشايخ يتجاهلون المرض المركزي الذي أشار إليه القرآن الكريم ويقولون : كلا، لا حاجة للأعمال الصالحة أبدا. نعم، هناك حاجة للرفض والتكذيب، وبالتكذيب سوف تحيا الأمة ! متى أعيدت أمة إلى الحياة بالتكذيب ؟ التكذيب ليس مرادفا للإيمان. إن الإيمان يعني التسليم بالمبادئ الإيجابية بحيث تصبح جزءا من الحياة. لقد ركَّز العلماء في أقوالهم عن الإيمان على أن التصديق مع عمل الجوارح شرط أساسي للإيمان الصحيح. وهذا هو العمل الصالح. فهؤلاء المشايخ لا يعرفون ما الايمان، وما العمل الصالح، وما هي فلسفة الحياة الروحانية.. وإنما سَمُّوا التكذيب حياة.

وهم يكذِّبون من يعتبرونه هيِّنا ضئيل الشأن، ومع ذلك يقولون أيضا أنه بمثابة السرطان. إنه صغير، ولكن ليس عندنا علاج له. إنه تافه، ولكنه يتغلب علينا باستمرار ! إذن كيف يُرجى شفاءُ مريض تهدُّه الأمراض من داخل جسمه، وعدوه الخارجي هم الانجليز، والله أيضا يؤيد عدوه هذا .. بحيث تكون كل هجمة منه ناجحة، ثم يصاب هذا المسكين بالسرطان من الداخل ؟ ماذا يمكن أن يحقق هؤلاء مع كل هذه المصائب؟

إنهم لا يعقلون ولا يفقهون شيئا . إنهم لا يدركون أنه لا يمكن أن يعتبر سرطانا مَن لم يستطع حتى الإنجليز أن يهزموه ولو مرة واحدة. لقد سعى الإنجليز لمحو الأحمدية طيلة حكمهم في الهند، ولكنهم فشلوا دائما. والحق أن الأحمدية هي وحدها التي تصدت للمسيحية. والواقع أن سيدنا المهدي والمسيح هو وحده الذي جاهد الإنجليز حقيقة.. فقد أعلن في مملكتهم وحُكمهم عن أمرين. الأول: أنه لا

يوجد في القرآن أي تعليم لنشر الدين بحد السيف ، فلذلك ليس جهادا ما تعتبرونه جهادا. فانفضوا عن أذهانكم فكرة ما يسمونه جهادا. إنه حرب وقتال ولا يسمى هذا جهادا. إنما الجهاد ما يتم بسلاح القرآن لنشر عقائد الدين ، مع بذل تضحيات في هذا الصدد. ولو أن أحدا حمل عليكم بالسيف منعًا لكم من القيام بهذا الجهاد.. فيمكن أن تتصدوا له بالسيف دفاعا عنكم، وهذا هو الجهاد الديني.

ما أصدقه وما أروعه تعريفا للجهاد ! لقد بيَّنه حضرته ، ثم اشتغل بالجهاد الذي رآه صحيحا. وأعلن عن الانجليز أنه ما لم تهاجم حكومتهم الأديان، ومالم يتدخلوا في دين المسلمين.. فلا يجوز الجهاد ضدهم. ذلك لأن أي حكومة استتب لها الأمر، ولا تتدخل في الدين.. ليس من الجهاد قلب حُكمها بآسم الدين. لم يذكر حضرته المساعي السياسية أبدا. قال إنني مهتم بالدين فقط. لو أن حكومةً لا تؤمن بدينكم ولكنها لا تتدخل في دينكم ، بل تحميكم ممن يضطهدونكم بسبب دينكم.. فلا يجوز الحرب ضدها. طالما كان الهندوس والسيخ يتدخلون في دين المسلمين ويضطهدونهم وكانت الحكومة الانجليزية تمنعهم. فقال حضرته: هذا هو العدل والإنصاف. وليس في القرآن آية تسمح بمحاربة العدل والإنصاف. الاختلاف في الدين شيء، ولكن العدل أمر به الله وسانده دائما. فأفتى حضرته: ما دام الانجليز يحافظون على هذا العدل.. أي لا يسمحون لأحد بالتدخل في دين الآخرين، ويحولون دون أن يمنع غيره من العمل بأى دين شاء، فلا يجوز محاربة حكومة الانجليز.

نعم ، يجوز محاربة دين الإنجليز، لأن دينهم هو الدجال. وهذه فتوى محيرة للغاية، إذ أنه رغم كونه محكوما للإنجليز.. إلا أنه شن على دين الحكام هجمات عنيفة مستمرة، حتى صاح الجهلة من المسلمين أنفسهم : إن هذا الرجل قد ظلم سيدنا عيسى عليه السلام.

ما أشد غباء هؤلاء ! ألم يروا هذا الذي كان يهاجم دينَ الإنجليز.. فإنه من ناحية يمنع من محاربتهم بالسيف، ومن ناحية أخرى يهاجم دينهم هجمات عنيفة، صرخ المسلمون بسببها؟ ثم يهاجم دين الآريين الهندوس أيضا، حتى شكى المسلمون أنه تحرش بهم بلا مبرر ؟ لقد قام حضرته ضد كل الأمم المعادية للإسلام. لقد أعلن أن 'بابا غورو نانك' كان صوفيا مسلما، وهذا هيَّج السيخ أيضا ، لأنهم يرون أنه لو ثبت إسلام 'بابا نانك' لم يعد لدينهم أساس، ولم يفكروا أن ثبوت إسلامه لن يكلفهم إلا الانضمام إلى دين عالمي هو الإسلام، ومع ذلك يستطيعون فيه الاحتفاظ بهويتهم كفرقة إسلامية صوفية.

على أية حال، لا يهم الآن كيف فكروا، وإنما أقول: إن سيدنا المهدي قد حارب أعداء الإسلام المهاجمين من كل طرف وصوب. لقد أخبر المسلمين بمرضهم قائلا: لا تقومون بأي جهاد.. ومع ذلك تدعون إلى الجهاد وأنتم لا تملكون أي سيف ! وكما قال الشاعر عن حبيبه أنه يحارب بدون أي سيف في يده. تستجدون السلاح ممن تريدون حربه. تسألونهم السيوف والرصاص والبنادق قائلين: آتونا السلاح لنحاربكم ، إن ديننا يأمرنا بحربكم لذا تكرموا علينا بالمدافع، والبنادق والطائرات من طراز إف ١٦ كي نحاربكم ! ما أشدهم حمقا وغباء.

قال لهم حضرته : لا أساس لجهادكم . إنه هتاف وضجيج فارغ تماما. ولئن أثرتم المسلمين فلن يتم جهادُكم إلا فيما بينكم ، وسوف تعاقبون على ذلك. وهذا ما حدث بالضبط. لقد أراقوا دماء بعضهم البعض ، ولكن جهلة المشايخ يسمونه جهادا. في المائة سنة الماضية، أعني من بعثة سيدنا المهدي.. متى حارب المسلمون الإنجليز أو أمريكا وانتصروا عليهم؟ أو متى حاربوا اليهود فازدادت رقعة أراضيهم وانكمشت الأرض اليهودية. سمُّوا أي قوة معادية للإسلام حارَبوها باسم الاسلام وبقوات المسلمين ثم انتصروا عليها. اللّهم إلا أن يكونوا قد اعتمدوا على القوى الأجنبية حيث حرشتهم هذه القوى على قوة أخرى مستخدمة اسم الاسلام، وساندتهم. نعم، عندئذ انتصروا حقا. مثلما حدث بأفغانستان. والعجب أن الإعلان عن الجهاد في أرض أفغانستان كان يتم من أمريكا. والإعلان السعودي أو الباكستاني عن هذا الجهاد لم يكن شيئا إزاء الإعلان الأمريكي. كانت أمريكا تساند الجهاد الإفغاني مائة بالمائة. كانت العقول أمريكية، والخطط من جنرالات أمريكان، وكانت الأموال والأسلحة والصواريخ الأمريكية تساند هذا الجهاد الأفغاني ضد الروس. أوضّح هذا الأمر لكي لا ينخدع أحد من المسلمين فيدّعي أننا نحن طردنا الروس من أفغانستان. مرة

سئل سكرتير الحكومة الأمريكية أو سكرتير الدفاع الأمريكي: ألم تتلقنوا درسا من حرب فيتنام؟ لماذا تقحمون أنوفكم في هذه الحرب؟ ألا تسمعون التهديد الروسي بأننا سنفعل بكم ما فُعل بكم فى فيتنام؟ لا تنسوا هذا الدرس.

هل تعرفون جوابه؟ قال : هناك بون شاسع بين حرب فيتنام بين وهذه الحرب الأفغانية التي أثرناها هنا. هذه الحرب المقدسة جهاد، ولم تكن حرب فيتنام كذلك!

فكأن الحرب المقدسة لا يمكن أن تحارب إلا بعونة من قوم غير مقدسين. ولقد تبين الآن مدى قداسة هذه الجهاد بعدما تخلت القوى الغربية عن المجاهدين الأفغان، وبعد ان انسحب الروس والأمريكان من أراضيهم. ها هم يقتلون بعضهم بعضا قتلا عاما، ويضطهدون إخوانهم بدون حدود. ولكن انظروا كيف يسمُّون هذا جهادا. إنهم لم ينتصروا في أي جهاد إلا إذا استعانوا بمن يعتبرونه أكبر عدو للاسلام. وبدون ذلك لم يتحقق لهم النصر؛ ولكن لا يفكرون في ذلك.

ماذا حدث في العراق؟ هل كان بوسع السعودية وغيرها أن تصيب العراق بسوء ؟ لقد هاجمته كل القوة الأمريكية، واجتمعت عليه كل أوربا، وأعلنوا للعالم: لقد قام زعيم عراقي سوف يتضاءل أمامه ما فعله هتلر. وكانت هذه خدعة فقط من الغرب. قالوا: ما لم نجمع ضده كل قوى العالم فلن نتغلب عليه. هكذا كان دعايتهم. وضموا إليهم عشر دول إسلامية أيضا ضد بلد مسلم. ثم مارسوا ضد هذا البلد المسلم أنواع المظالم التي لا تزال تمارس ضده إلى اليوم.

كيف انتصرت البلاد الإسلامية على العراق؟ بمساعدة أعداء الإسلام الإنجليز وأمريكا وغيرهم من بلاد الغرب. واشتركت مع الغرب في كل ما أشاعه الإعلام الغربي من دعاية مزورة فاسدة لتضخيم القوة العراقية.. عبر التلفاز والراديو والصحافة. تعرفون كيف كانوا يرعبون العالم من قوة العراق الوهمية؟ كانوا يعرضون على العالم مدفعا طويلا جدا وقالوا: لم نر مدفعا طويلا كهذا.. هذا المدفع سوف يرمي القذائف لمسافة الآف الأميال؛ فماذا يكون مصيركم يا أهل أوربا؟

وكيف صنع العراق ذلك المدفع؟ الإنجليز هم الذين هربوه إلى داخل العراق. وكان العراق لا يزال في مرحلة جمع قطع هذه المدفع الوحيد.. بينما يملك الغرب من حمالات القنابل النووية ما يستطيع بها ضرب أي مكان فى العالم. ومع ذلك كانوا يخوِّفون الغرب قائلين: ماذا نفعل الآن ؟ لقد صنع العراق المدفع، ألسنا مضطرين الآن لقتاله؟ مع أن العراق لم يتمكن من صنع المدفع.. لأن الغرب كان قد امتنع عن تزويد العراق بقطع ضرورية لصنعه. فقط أعطوه أنبوبته الطويلة مقابل ثمن غالٍ! وهكذا كانوا يخدعون الناس بأن "هتلرًا كبيرًا" ظهر، وسوف يبتلع العالم كله!

ما هى قوة صدام؟ لا يستطيع المسكين حتى بيع نفطه. الأطفال في العراق يعانون من ظلمهم. لقد مات مئات الآلاف من الصغار شر ميتة لفقدان الغذاء والدواء، ويخبرون عن موت الآخرين في الأيام القادمة. هناك صورة قاتمة للجوع والإفلاس تسود كل البلد.

هذا هو جهادهم. لقد وضَّحت لكم إلى الآن حقيقة نوعين للجهاد. وهناك جهاد ثالث قاموا به بدون استعانة أو مشاركة مع أعداء الإسلام، ومثاله الحرب بين العراق وإيران. لقد قاموا بهذا الجهاد كثيرا. في هذا الجهاد اغتالوا عدة زعماء مصريين. وفي الجزائر أيضا اغتالوا شخصيات كبيرة، وأنشأوا حركات للهجوم على مسلمين أبرياء، وأهانوا السيدات. تعرضوا للنسوة بحجة أنهن لم يتحجبن كما يجب. وفرَّقوا بين المرأة وزوجها عنوة، ثم ضربوا الزوج وأهانوه. ووقعت أحداث قتل كثيرة بسبب ذلك. والحجة عندهم أن هؤلاء لا يعملون بالاسلام. هل عنفهم وتطرفهم هذا عمل الاسلام؟ هل فعل الرسول هكذا ولو مرة واحدة؟ هل أهان الرسول امراة بتهمة عدم الحجاب، أو أهان امرأة أمام زوجها وضربها ونزع عنها الثياب؟ هذا هو إسلامهم!

إنه استغلال مشين لاسم الإسلام. إنها خدعة مزورة تلحق ضررا مزدوجا. فالمرض الموجود داخل الأمة في ازدياد مستمر، لا يولون لعلاجه اهتماما، ولا يفعلون لإصلاح أحوال الأمة عملا، ولا يبدأون حتى المحاولة لإصلاح الأخلاق. ولكن الصورة التي يرسمونها للإسلام بأعمالهم المتطرفة لهي بمثابة سلاح يناولونه للأعداء ليهاجموا به الإسلام. إن الأعداء لن يعطوهم أسلحة يستخدمونها ضدهم. أما هم فقد أنشأوا مصانع لإنتاج ما يسبب الإساءة إلى

السيرة الطاهرة

بقلم الأستاذ: مصطفى ثابت

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

إن رجعة نبي من الأنبياء أو زعيم من المصلحين ظاهرة ترتبط بمعظم الأديان، حتى الأديان القديمة، مثل ديانة قدماء المصريين والهندوسية والبوذية. ولا تخلو الأديان السامية مثل اليهودية والمسيحية بل والإسلام من نفس هذه الآثار والظواهر. فالمصريون القدماء كانوا يؤمنون بالرجعة مرة أخرى إلى هذا العالم، ولذلك برعوا في فن التحنيط، كما اهتموا اهتماما خاصا بدفن ملوكهم في مقابر سرية لا تصل إليها أيدي العابثين، فكانوا يضعون مع جثمان الملك كل ما يخصه من تحف ومعدات الحرب وأدوات الصيد وغيرها، ولذلك فقد بلغت مقابرهم شأنا عظيما في فن الهندسة المعمارية، ولعل الأهرام.. التي تعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع.. خير شاهد على تلك البراعة الهندسية.

أما في الديانة الهندوسية والبوذية والزرادشتية وغيرها من الديانات غير السامية، فإننا نجد أن الأمر ليس كما هو الحال بالنسبة للديانات المصرية القديمة، إذ أن الرجعة في هذه الديانات تقتصر على رجعة واحد من زعماء تلك الأديان. ففي الديانة الهندوسية نجد ما يشير إلى رجعة كرشنا وعودته مرة أخرى إلى هذه الدنيا، كذلك في الديانة البوذية نجد بعض الروايات تشير إلى عودة بوذا إلى الدنيا مرة أخرى. وهناك في الديانة الزرادشتية ما يشير أيضا إلى عودة ميسيو، وهكذا.

والديانات السامية.. نسبة إلى نسل سام بن نوح عليه السلام.. لم تشذ هي الأخرى عن تلك الأفكار، فإننا نجد في الديانة اليهودية ما يشير إلى عودة إيليا النبي.. المعروف في الإسلام باسم إلياس عليه السلام.. ونزوله من السماء كعلامة على بعث المسيح الموعود به لليهود. وفي المسيحية كذلك يوجد ما يفيد بعودة المسيح عليه السلام ونزوله مرة أخرى إلى هذه الدنيا، وفي الإسلام أيضا روايات تفيد نزول المسيح وظهور الإمام المهدي، وعند الشيعة سيعود الإمام الغائب ليقتل كل أعدائه.

وبطبيعة الحال فإن أتباع هذه الأديان جميعها.. الذين يتطلعون إلى رجعة النبي أو عودة المجدد الغائب أو المنتظر.. إنما يتوقعون ظهوره وعودته بنفسه وفي نفس جسده العنصري الذي اختفى به أو غاب فيه، وهو الأمر الذي يتعارض مع كثير من الأديان..وخاصة الإسلام.. والتي تقضي بعدم عودة من يموت إلى هذه الحياة الدنيا مرة أخرى.

وقد حاول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أن يلقي ضوءا على موضوع رجعة الأنبياء وشرح لحواريه أن رجعة نبي من الأنبياء هي رجعة روحية بمعنى أن يظهر مثيل للنبي المزمع أن يرجع، فكأنه عاد بنفسه مرة أخرى إلى هذه الدنيا.

وفي الإسلام كذلك هناك ما يشير إلى أن للرسول ﷺ بعثتين. يقول القرآن الكريم: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم.... وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ (الجمعة: ٤)

وتشير الآية إلى أن الله قد بعث في الأميين رسولا.. وهم العرب الأميون الذين بُعث فيهم الرسول ﷺ.. وبعثه أيضا في ﴿آخرين﴾، وهذه البعثة الثانية ليست متصلة بالأولى حيث يصف القرآن الآخرين بأنهم ﴿لما يلحقوا بهم﴾، أي أنه سينقضي زمن ما حتى يظهر من سماهم القرآن بأولئك "الآخرين".

وهذا يدل على أن للرسول ﷺ بعثتين .. إحداها في الأولين والثانية في الآخرين. والبعثة الثانية للرسول ﷺ إنما هي بعثة روحية .. ولم يتصور أحد أو يظن أن البعثة الثانية للرسول ﷺ ستكون بعثة جسدية يظهر فيها بنفسه وفي نفس جسده العنصري. ومعنى البعثة الروحية هنا هو أن يظهر أحد أتباعه ﷺ الذي يكون من أخلص خدامه ومتبعي سنته حتى أنه ليبدو وكأنه ظله الذي انطبعت عليه صورته. إن هذا المبعوث المنتظر سيكون قد انمحى كلية في طاعة الرسول ﷺ وخلع عن نفسه رداءها ونفانى في شخصية رسول الله حتى لكأنه قد صار هو بعينه. وفي ذلك يقول عنه الرسول ﷺ: "يدفن معي في قبري". ولا يعني هذا بالطبع القبر المادي .. أي أن يفتح قبر الرسول ﷺ ليدفن فيه ذلك المنتظر، فإن هذا انتهاك لحرمة قبر رسول الله ﷺ، وإنما معنى الحديث أن هذا المنتظر سيكون قد تطبع بطباع رسول الله ﷺ وتخلق بأخلاقه واستن بسنته حتى لكأنه قد صار هو بنفسه وكأنه قد عاد مرة أخرى إلى الحياة، ولن يكون القبر الذي يدفن فيه ذلك المنتظر هو القبر المادي الذي دفن فيه جسد رسول الله ﷺ وإنما سيكون "روضة من رياض الجنة"، فقد وصف الرسول ﷺ القبر الذي تذهب إليه روح الميت فقال عنه: "القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار".

وهناك نبوءات عن رسول الله ﷺ تحدثنا عن ظهور المهدي والمسيح في آخر الزمان. وتشير بعض الأحاديث إلى أن المهدي والمسيح هما في واقع الأمر شخص واحد. فقد ورد في ابن ماجه حديث: "لا مهدي إلا عيسى" وورد في مسند أحمد بن حنبل عن عيسى الموعود أنه ينزل "إماما مهديا وحكَمًا عَدلا". وعلى ذلك يتضح أن البعثة الروحية الثانية لرسول الله ﷺ التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة الجمعة (٦٢: ٤) إنما تتمثل في بعثة ذلك المهدي المنتظر والمسيح الموعود الذي أشار أيضا رسول الله ﷺ إلى أنه سيكون من أصل فارسي: "لو كان الإيمان بالثريا لناله رجل من فارس".

غير أن جمهور المسلمين الذين تسربت إليهم الأفكار المسيحية والروايات الإسرائيلية عن طريق دخول أعداد كبيرة من أهل الكتاب في الإسلام، بدأوا يتأثرون بهذه الأفكار وتلك الإسرائيليات حتى صاورا يظنون أن عيسى عليه السلام قد رُفع إلى السماء بجسده العنصري وأنه سوف ينزل منها في آخر الزمان إلى الأرض بنفس ذلك الجسد العنصري تحقيقا للنبوءات التي ذكرها رسول الله ﷺ عن نزول عيسى في آخر الزمان.

وجدير بالذكر .. إن المسيحيين من أهل الكتاب يعتقدون أن عيسى عليه السلام قد مات على الصليب، ثم عادت إليه الحياة بعد ثلاثة أيام، ثم صعد إلى السماء بجسده الذي سينزل فيه مرة أخرى إلى الأرض في آخر الزمان. ولكن المسيح عيسى بن مريم نفسه قد شرح بكل الوضوح معنى عودة نبي من الأنبياء أو نزوله من السماء. فمن بين الأمور التي حالت بين علماء اليهود وبين الإيمان بعيسى وهو المسيح الموعود به لهم في التوراة والذي كانوا ينتظرون مجيئه بفارغ الصبر، هو ورود بعض النبوءات في التوراة عن نزول إلياس (إيليا النبي) من السماء كعلامة على قرب ظهور المسيح الموعود. فقد ورد في سفر ملاخي وهو آخر أسفار التوراة أن إيليا النبي سوف ينزل من السماء قبل ظهور المسيح. ولما جاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ودعا الناس إلى الإيمان رفض علماء اليهود أن يؤمنوا به .. حيث أنهم لم يشاهدوا إيليا النبي نازلا من السماء بعد. وصار هؤلاء يحرضون العامة ضد المسيح، ويستدلون بالتوراة متهمين المسيح عليه السلام بالكذب والدجل حيث أنه كان يدّعي أنه المسيح الموعود رغم عدم نزول إيليا النبي من السماء كما تنص التوراة. وشعر حواريو المسيح بالحرج والقلق الشديد لكلام علماء اليهود، فالتوراة واضحة وصريحة وتنص على نزول إلياس النبي من السماء قبل ظهور المسيح الموعود. ونذهب إلى الأناجيل المسيحية لنرى كيف تطور الأمر.

يحكي لنا إنجيل متّى أن تلاميذ المسيح سألوه عن

هذه المشكلة التي أثارها علماء اليهود فيقول :

"وسأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغي أن يأتي أولا . فأجاب يسوع وقال لهم : إن إيليا يأتي أولا ويرد كل شيء، ولكني أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا .... حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" (إنجيل متى ١٧ :١٠ - ١٢)

"... لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا . وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي" (إنجيل متى ١١ :١٤)

كذلك يذكر إنجيل لوقا عن بشارة الملاك لزكريا عن مولد يوحنا :

" وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا، وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثير سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس ، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار" (إنجيل لوقا ١ :١٣ - ١٧)

وهكذا أوضح المسيح عليه السلام أن المقصود بالمجيئ الثاني أو عودة نبي من الأنبياء الذين خلوا من قبل .. أن يأتي شخص آخر بصفته وقوته .. وشرح أن ما تعنيه نبوءات التوراة من عودة إيليا ونزوله من السماء هو مجيئ يوحنا المعمدان وهو سيدنا يحيى عليه السلام .

ومادام هناك في كل الأديان من الأنباء ما يشير إلى عودة شخص ما في آخر الزمان فإن السؤال الذي يجب أن يوضع في الاعتبار فيما يتعلق بالمجيئ الثاني لهذا المنتظر هو: ماهو الغرض من مجيئ هذا المبعوث .. وما هي مهمته .. ولماذا اتفقت الديانات العظمى في العالم على قدوم ذلك المنتظر في آخر الزمان ؟ وهل يا ترى نتوقع أن يظهر مبعوث في كل ديانة .. وإذا جاز ذلك فهل تتشابه مهمة كل هؤلاء أم أنه سيكون لكل منهم مهمة خاصة به وبدينه فقط إذ أنه يمكن أن تتعارض وتتضارب تلك المهام التي سيقوم بها أولئك المنتظر مجيؤهم في آخر الزمان .

وإذا كانت المهام التي سيقومون بها جميعا متشابهة فهل مجيئ واحد فقط يكفي لتأدية تلك المهام جميعها على أكمل وجه ؟ وإذا كانت تلك المهام تختلف عن بعضها البعض وتتعارض مع بعضها البعض فماذا يؤدي إليه مجيئ هؤلاء المبعوثين في كل هذه الأديان من تشاحن وتباغض وتنافر وعداء بدلا من السلام والمحبة والتآلف والوئام بين أتباعها؟ وإذا افترضنا ظهور مجدد في كل دين من الأديان العظمى كالإسلام والمسيحية واليهودية والهندوسية والبوذية وغيرها .. تحقيقا للنبوءات التي تحتويها تلك الأديان .. فهل يتمسك كل مجدد بتعاليم دينه أم أنه يحيد عنها ويتجاهلها ؟

في أي من الأحوال نرى أن المشاكل التي يمكن أن تنجم عن مجيئ هذا الجمع من المجددين في آخر الزمان لا حصر لها ولا حل لها أيضا .

إن العالم في خلال القرنين السابقين قد شهد اتجاها نحو التوحد والتجمع .. وكل الخطوات التي تم اتخاذها بين الدول من إقامة أحلاف ومؤسسات دولية وجامعات وروابط للدول العربية واللاتينية والأوربية والإسلامية وغيرها لتشهد أن مسرح الأحداث في العالم يجري إعداده بأيدي الله الخفيه.. ليجتمع شمل الأسرة الإنسانية .. مما يدل على أن المجدد المنتظر عودته في كل دين من الأديان إنما هو في حقيقة الأمر شخص واحد وليس عدة أفراد يتبعون تلك الأديان المتعددة .

ومن وجهة النظر الإسلامية .. فإن هناك اتفاق على أن مجيئ ذلك المبعوث في آخر الزمان سيكون تحقيقا لوعد الله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (التوبة : ٣٣)

هذا الوعد سوف يتحقق عند ظهور الإمام المهدي المنتظر والمسيح الموعود وهما شخص واحد كما أسلفنا الذكر . وهناك من الظواهر القوية ما يشير إلى أن ذلك المجدد العظيم سوف يظهر في الإسلام وبين المسلمين وليس في دين آخر . ويؤيد تلك الظواهر دلائل عديدة لا يتسع المجال للدخول في

تفاصيلها هنا .. غير أنه من الممكن أن نشير إلى البعض منها :

أولا : إن كتاب الله القرآن واضح كل الوضوح في النص على أن رسالة الإسلام رسالة عالمية وأن رسول الإسلام ﷺ قد بُعث للعالم أجمع :

﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾ (الأعراف : ١٥٩)

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (سبأ : ٢٩)

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء : ١٠٨)

ثانيا : إن القرآن يحتوي على الهدي الكامل لأهل كل زمان، وسكان كل الأوطان، وفي كل مكان :

﴿ رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ﴾ (البينة : ٤ - ٥)

﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (ص : ٨٨)

﴿ وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (القلم : ٥٢)

﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ (الفرقان : ٢)

ثالثا : إن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظه الله تعالى من التبديل والتحريف بناء على وعده تعالى :

﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ (الحجر : ١٠)

﴿ بل هو قرآن مجيد • في لوح محفوظ ﴾ (البروج : ٢٢)

﴿ إنه لقرآن كريم • في كتاب مكنون ﴾ (الواقعة : ٧٨)

فالقرآن يتميز من بين جميع الكتب السماوية بأنه ينفرد بصفة لا توجد إلا فيه ولا يتصف بها أي كتاب سماوي آخر وهي أنه من بدايته إلى نهايته لا يحتوي إلا على كلمات الوحي الإلهي التي جاء بها جبريل من عند الله تعالى ولقّنها رسولَ الله ﷺ . فكل كلمة فيه وكل حرف من حروفه هو وحي إلهي لا دخل للبشر في وجوده أو تكوينه . وهذا في حد ذاته ضمان على أنه محفوظ من عند الله تعالى .. فلا يمكن أن تمسه يد التحريف والتبديل.. ولا يمكن أن يطرأ عليه زيادة أو يشوبه نقص .. ولا يمكن أن تُنسى آياته أو تندثر كلماته .

وقد أجمع المستشرقون والعلماء غير المسلمين الذين بحثوا في أمر القرآن المجيد على أن كل آياته الموجودة حاليا هي نفس الآيات والكلمات التي جاء بها محمد ﷺ وأخبرنا أنها من وحي الله تعالى .

ويجب ألا يغيب عن البال أن الوعد الإلهي بحفظ القرآن المجيد الذي سبق الإشارة اليه في سورة الحجر لا يقتصر على حفظ متن القرآن الكريم وكلماته فقط ، وإنما يشمل كل العوامل التي تؤثر على هذا الكتاب السماوي بكونه مصدر الهدي للإنسانية جمعاء في كل زمان وفي كل مكان . فمثلا إن هذا الوعد ضمان أن اللغة التي نزل بها القرآن .. وهي اللغة العربية .. سوف تظل دائما أبدا لغة حية يستعملها البشر ويفهمونها حتى لا تكون هناك حوائل تعوق فهم القرآن المجيد . واللغة العربية اليوم هي لسان أعداد كبيرة من الناس يتحدث بها من البشر ما يزيد مئات المرات عن أعداد البشر الذين كانوا يتكلمون العربية عند نزول القرآن . وبالإضافة إلى حفظ اللغة من الضياع أو الاندثار .. فإن رسول الله ﷺ قد أخبرنا بأن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها .. وذلك بأن يُبرز الهدي القرآني للناس ويبين لهم عظمة هذه المعجزة الخالدة . ولم يحدث بالنسبة لأي كتاب سماوي آخر أن اقترن نزوله بمثل هذا الوعد الإلهي بحفظه .. الوعد الذي ينص على حفظ متن الكتاب وكلماته .. وحفظ اللغة التي نزل بها .. وحفظ معانيه وهديه عن طريق المجددين وعلماء الأمة الذين يبعثهم الله تعالى من زمن لآخر .

رابعا : هناك أيضا الوعد الإلهي الذي سبق الإشارة اليه في سورة التوبة .. الآية رقم ٣٣ .. والخاص بظهور الإسلام على الأديان كلها .

وليس معنى ذلك الظهور أن يتأسس الدين في الأرض كما حدث على يد رسول الله ﷺ ، لأن معنى ظهور الدين على الدين كله يقتضي انتشار الإسلام في الأرض بحيث تكون له اليد العليا على كل الأديان الأخرى . يقال « ظهر الجيش على عدوه » أي انتصر الجيش على العدو وصارت له اليد العليا في ميدان الحرب وتحقق له الفوز والانتصار .

وقد أشار المفسرون أن هذا الوعد الإلهي سوف يتحقق في آخر الزمان حينما يأتي الإمام المهدي والمسيح الموعود حسب ما أنبأ به الرسول الأكرم ﷺ من الأحاديث في هذا الشأن . وكما أخبرنا أنه سيكون

وكأنه صورة وظل لرسول الله ﷺ حتى أنه ليشابهه في صفاته وفي أسمائه وفي أخلاقه حتى لكأنه ﷺ قد بُعث من جديد مرة أخرى كما تشير إلى ذلك آية سورة الجمعة :

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ (الجمعة : ٢ - ٤)

وروى البيهقي عن أبي اسحاق قال : قال عليّ عليه السلام ، ونظر إلى ابنه الحسن ، فقال : إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ . سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم ، يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلق .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلا اسمه اسمي ، وخُلُقه خُلُقي ، يكنى أبا عبد الله" أخرجه الحافظ أبو نعيم في صفة المهدي .

ويجدر التنويه هنا بأن استعمال صيغة الفعل الماضي في آية سورة التوبة : ﴿ هو الذي أرسل رسوله ﴾ لا يعني أن هذا الفعل قد تم في الماضي ، وإنما هذا هو اللسان العربي والأسلوب القرآني لتأكيد وقوع فعل ما سوف يحدث في المستقبل ، فالعرب يقولون مثلا : « أفلح إن صدق » تأكيدا لفعل سوف يقع حتما ولكنه لم يقع بعد . والقرآن الكريم أيضا يستعمل نفس الأسلوب لتأكيد وقوع الفعل في المستقبل مثل قوله تعالى :

﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خَزَنَتُها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ (الزمر : ٧٤ - ٧٥)

خامسا : إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتطلب الإيمان بجميع الأنبياء ورسل الله تعالى في أي وقت ظهروا فيه وفي أي مكان جاءوا إليه وفي أي أمة أرسلوا إليها . فالقرآن الكريم يؤكد :

﴿ إنّا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ (فاطر : ٢٥)

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ﴾ (النحل : ٣٧)

وإنها لدعامة من دعائم الإيمان للمسلم أن يؤمن بجميع الأنبياء والرسل دون أن يفرق بين أحد منهم . فالقرآن الكريم يؤكد :

﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (البقرة : ١٣٧)

وهذا يقتضي أن المبعوث الإلهي العظيم الذي يأتي في آخر الزمان لابد وأن يظهر في الأمة الإسلامية ، فهو كمسلم لابد وأن يؤمن بجميع الأنبياء من الأمم السابقة ولا يستطيع أن ينكر رسالة أحد منهم أو يكفر بنبوة أي منهم . أما إذا افترضنا جواز ظهوره في أمة أخرى غير الأمة الإسلامية فإنه لن يكون ملزما بالإيمان بالأنبياء والرسل الذين لم يُبعثوا في قومه ، وبالتالي فإن الناس من الأقوام الأخرى لن يؤمنوا بشخص لا يؤمن بأنبيائهم ورسلهم الذين بعثهم الله فيهم . ولذلك فإن من مقتضيات "الحَكَم العدل" الذي يبعثه الله تعالى في آخر الزمان أن يكون مصدقا لكل الأنبياء .. مبجلا لهم .. ذابّا عن كل نقيصة أُلحقت بهم .. ومدافعا عن رسالة الله التي أوحاها إليهم . فهو لابد أن يكون ممثلا لكل الأنبياء .. أو كما جاء في وصفه بأنه "جري الله في حلل الأنبياء" .

سادسا : إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي وصفه الله تعالى بالكمال ، فهو الدين الكامل الذي ارتضاه لعباده ولن يقبل منهم دينا سواه . يقول تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ (المائدة : ٤)

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ٢٠)

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (آل عمران : ٨٦)

والإسلام كما نعلم دين يحتوي على تشريع وتقنين ، وحيث أنه يتسم بالسمات السابق ذكرها .. أي أنه دين كامل .. نزل للعالم أجمع وجاء ذكرا للعالمين .. وأن الله تعالى بنفسه قد وعد بحفظ ذلك الذكر من كل تحريف وتغيير .. بل إن الله سبحانه وتعالى قد حفظ أيضا اللغة التي نزل فيها ذلك الذكر الحكيم .. فإن جميع هذه الأسباب تمنع أن يأتي دين آخر من عند الله تعالى .

[يتبع]

الجِنّ..
بين الحقيقة والخُرافة (٢)

قبل عشر سنوات.. سألني بعض الأصدقاء عن ذكر الجِنّ في القرآن والحديث. وواكب ذلك ظهورُ كتابٍ عن الجن محشوٍ بالخرافات. فكتبت هذه الصفحات مسترشدا بتفسير القرآن لسيدنا الخليفة الثاني - رضي الله عنه. م. ع. الشافعي

ولقد اخترت لكم في هذه المعالجة آفةً من الآفات العديدة التي تنخر في جسد الأمة الإسلامية.. وتلوث عقيدتهم وتشوه تفكيرهم.. تلك هي آفة "الجن".. التي أصيب بها الخاصة قبل العامة.

منذ سنوات - بعد مصيبة ١٩٦٧ الشهيرة ووقوع سيناء في أسر إسرائيل - ألقت بي الأقدار للعمل في بعض بلاد الإسلام بالقارة الإفريقية، فوجدت القومَ هناك يكادون لا يتصرفون في أمر من أمور حياتهم المتواضعة إلا بعد استشارة أحد (عملاء الجن).. من المشعوذين والدجالين. يسمون الواحد منهم (فَكي)، ولعل أصلها (فقيه). ومن فضل الله أني تحديتهم ليثبتوا صدقهم أمامي ففضح الله دجلهم وفشلوا فشلا ذريعا، حتى اضطر أعوانهم إلى القول بأني ساحر أشد منهم مهارة !!

وقد لا يخفى على أحد منا ما يمارسه كثيرٌ وكثير من أهل الإسلام في بلاد الإسلام من طقوس وأفعال لاستشارة (الجن) في حل مشكلاتهم، والاستعانة بهم لقضاء حاجات مستعصية على هممهم السقيمة. بل لقد وصل الحال ببعض من ابتُلي المسلمون بهم من القادة والحكام أنهم لجأوا إلى هذا الأسلوب الزري.. يستفتون وسطاء الجن في مسائل الحرب والحكم والسياسة ! وتعرفُ الدنيا ما تحقق على يد هؤلاء الخبراء في معاركنا القريبة ونكساتنا الشهيرة !!

وتخرج علينا الصحف بأنباء أبطال الرياضة الذين يلجأون إلى الجن لضرب الأرقام القياسية، والفوز على المنافسين في المسابقات الدولية والمحلية.. وليتهم حققوا شيئا!!

ونقرأ في مجلات دينية أن (فضيلة الشيخ الفلاني) أخرج الجن من جسد فتاة؛ وكان يكلمه ويعظه وينهره أحيانا كي يستسلم وينصرف!

وها هي المطابع العربية تتمخضُ أخيرا عن كتاب (من التراث!!).. تحت عنوان: (عجائب وغرائب الجان.. في السنة والقرآن).. لأحد قضاة عصور الظلام.. حققه محقق عصري.. زعم أن الكتاب يقدم الحقائق العلمية الصحيحة.. التي تقوم على الحجة والبينة والدليل الصادق. ولو أن أحدا من غير المسلمين ذا بقيّةٍ من عقل وفهم قرأ هذا الكتاب.. لفرَّ من الإسلام كما يفر السليم من المجذوم.

أما الكثرة الغالبة من المسلمين فإنهم يعطلون عقولَهم لمرأى نصوص في الكتب، مع أن الكاتب أوردها في غير مناسبتها، وأوّلها على غير وجهها الصحيح.. فيصدقون تلك الترّهات، ويعتقدون بصحتها. ولذلك لم نسمع عن أحد منهم تصدى لتصحيح تلك الخرافات وتطهير عقول المسلمين من رجسها.

وقد يوجد من بين رجال الدين والفكر من يعارض بعض الممارسات البدائية، ويرمي أهلها بالدجل والشعوذة، ولكنهم في الواقع لا ينكرون ما وراءها من فكر وعقيدة.. وإنما هم يتهمون المحترفين لها بالكذب والتزوير. إن هؤلاء المشايخ يعترفون بخرافة الجن وقدراتهم، ويعتقدون بالسحر وتأثيراته الخفية، ومع ذلك يكذِّبون المشتغلين بالسحر والتعامل مع الجن!! وإذا كان أغلب من يزعمون استخدام الجن هم من المشعوذين الدَجالين.. فليس هناك ما يمنع أن يكون بعضهم من الصادقين.. ذلك ما دام هناك جن وسحر، كما يتخيل أولئك المعترفون بالجن والسحر من بين رجال الدين والعامة!!

وبعد ذلك خرجت علينا السينما العربية منذ شهور معدودة بقصة تحت عنوان (الجن والإنس).. صورت فيه شيئا مما ينسبه الناس، بما فيهم رجال الدين، إلى الجن من خوارق وعجائب. ومن الغريب أن بعض النقاد، ممن يشتغلون بالنقد الفني ولا علاقة لهم بالمسائل الدينية، عابوا على الرواية ما تحتويه من خرافة. ولكنهم بالطبع لم يبينوا أين

وجهُ الخرافة في القصة.. لأن ما كُتب في التراث عن الجن أغرب بكثير مماجاء في الفيلم السينمائي.

نعم، هناك تناقض في عقول الناس. يؤمنون بالخرافات على أنها من الدين، ومع ذلك ينكرونها على من يمارسها من هذا المنطلق. والحق أن الباطل لا يثمر إلاباطلا، ولا تلد الخرافة إلا مسخا مشوها.

إن العاقل يعترض على كل فكر ليس له سندٌ منطقي معقول.. ويعُدُّه فكرا هداما للعملية العقلية الإنسانية، فما بالُك إذا كان الفكرُ منتسبا إلى الدين؟ إنه يصير سُما زعافا يفتك بالقلب والعقل.. فلا يستطيع بعد ذلك أن يجد طريقه الصحيح إلى منهج الله تعالى.. إلى الصراط المستقيم. ويبقى الفكر مكبلا بهذا القيد، وتتعطل ملكة الفهم الصحيح عن الله، ويعجز عن إدراك المقاصد الإلهية السامية، ويمضي الناس في ممارسات سطحية تُرضي المظهر.. ولكنها لا تسمن ولا تغني من جوع في المجال الروحاني. وتنتفخ جنبات النفوس بحشوٍ فارغٍ كالوَرم الذي يحسبه الجاهل قوة وصحة.. وهو في حقيقته مرض وضعف!!

هناك ما يبدو كأنه انفصامٌ في شخصية المتدينين ورجال الدين!! في أمور حياتهم الدنيوية يحشُدون كل ما لديهم من ملكات البحث والتقدير والتمحيص والوزن والقياس.. أما في المجال الديني فهم مقلدون، مستمسكون بتراث ورثوه. وهنا تتوقف عن العمل ملكاتُهم العقلية!! مع أنهم يقرأون في القرآن آياته الكريمة وهي تخاطب أولي الألباب، وتنادي قوما يفقهون أو يعقلون أو يسمعون أو يبصرون؛ ويعرفون أن القرآن يندد بأمم قالوا: ﴿إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾، ويلوم قوما صمُّوا وعمُوا، وحكى عن مصيرهم يوم الحساب حين يقولون نادمين: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾!!

ولا شفاء اليوم من مرض (الشيزوفرينيا) الفكرية العقائدية إلا إذا أدركوا أن دينَهم الإسلام- منهجُ حياة متكامل. إنه عبادة لله.. يتناول كل أنشطة الإنسان. إن أسماء الله ومحاسنه لا تنتهي.. ومن ثم فإن مجالات العبادة لا تقع تحت حصر.. والترقيات في معراج المنهج الإلهي لا تتوقف ولا تنتهي.. ما دام العابد يسير في هذا الطريق. وإذن فالعقلُ ومن ورائه الحواس والملكات.. جميعا تشارك بدورها الأساسي في العبادة.. أعني في الحياة. وكلُّ نشاط لا ينبع من عقل مدرك واع لا قيمة له من الناحية التعبدية، وإن أفتى الفقهاء بأنه "يُجزئ" أو يُسقِط الفريضة!!

فالعمل لا يُقبل عند الله تعالى إلا بنيّة، وما النيةُ إلاّ توجُه الفكر والوجدان. فالصلاةُ إذن حركاتٌ فارغةٌ.. إلا ما وعى المصلي منها بعقله وقلبه. والصيام مجردُ جوع وعطش.. إلا ما استفاد الصائم منه سلوكا وأدبا. والصدقات مال ضائع مفقود.. إلا من إنسان مؤمن مدرك لمغزى ما يفعل ويريد به وجه الله تعالى. وكل عمل يفقد قيمته التعبدية إذا خلا من التعقل والإدراك والفهم والوعي. ولا يغيبن عن البال أن كلَّ عمل يدخلُ في نطاق العبادة.. ولذلك أمرنا المصطفي ﷺ أن نبدأه باسم الله. والحق أن الذي أردَى الأمةَ المنتسبة للإسلام إلى ما هي فيه اليوم.. هو فراغ عبادتها من التعقل والوعي والإدراك.

وأرى أنه من المنطقي لتتبع موضوع (الجن) في القرآن الكريم أن نفتحَ المصحف الشريف، ونبدأ القراءة من بدايته.. ونتأمل كيف يتناولُ المسألتين: عبادةَ الله تعالى، وذكرَ الجن والإنس. ومن المناسب هنا التأكيد على حقيقة جديرة بكل اهتمام.. تلك هي أن القرآن المجيد تنزيلٌ من الحكيم العليم.. فهو ليس نتفًا من الآيات من هنا وهناك، لا يربطها رباط، ولا يضمها نسيج متين.. مثل خواطر بعض البشر التي تقفز في عقولهم بلا ترتيب أو تبويب. حاشا لله، إنه كتاب محكم، ذو عناصر مترابطة مرتبة، فما جاء منها أولا فلحكمة جاء أولا.. وما جاء متأخرا فلحكمة وردهكذا.

في مقدمة القرآن تأتي سورة (الفاتحة).. التي تفتح باب الكتاب الرباني.. باسم الله الرحمٰن الرحيم، وتكشف لنا عن الغرض من تنزيله على بني البشر.. وتعلن عن مصدره الإلهي، وإطاره القائم على كمال الرحمة الربانية.. ثم تهتف: «الحمد لله رب العالمين».

والحمدُ لفظ عربي قليلُ الأحرف إلا أنه يجمع كل معاني الكمال والجلال والجمال! فكل ما يستوجب

المحبة والإعجاب.. والتوقير والتعظيم.. والشكر والثناء.. بأكمل صورة وأصدق معنى.. هو لله تعالى.

هذه هي المقدمة التي تولّى الكتاب توضيحَها والتدليل عليها، ورسَم المنهج السليم لتحققها من خلال سوره وآياته. إنها الغرض الوحيد الذي من أجله خُلق البشر. وما تنزَّل وحيُ السماء.. وما يتنزل.. إلا لتحقيق هذا الهدف الأسمى.

ثم تعلن الآية الكريمة أن الوجودَ المستحق للحمد كلِّه هو الله رب العالمين.. كل العالمين، لا لصنف دون صنف. إن ربوبيته رعايةٌ وعناية، هيمنة وقوامة، رزق وتنشئة وحفاظة.. تظلل العوالم كلَّها: عالم الشاهد وعالم الغائب، عالم النبات وعالم الجماد، عالم الطير وعالم الدواب، عالم الرجال وعالم النساء، عالم الروح وعالم المادة، عالم الإنس وعالم الجن. كل ما في الكون من عوالم.. نعرف عنها شيئا أو نجهلها بالمرة.. تدخل جميعُها تحت مظلة ربوبية الله تعالى.

وتمضي آيات القرآن. وفي السورة التالية - سورة (البقرة) نسمع أولَ نداء قرآني.. موجه إلى من يخاطبهم القرآن.. إلى من نزل لأجلهم.. إلى من خُلقوا العبادة الله.. يقول النداء:

﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم...﴾٢:٢١.

النداءُ للناس. والنداءُ توجيهٌ إلى عبادة الرب الخالق الذي خلق الناس لهذه العبادة. ولو كان القرآن يخاطب خَلقًا غير الناس لكان من المناسب أن يوجِّه إليهم الخطاب ها هنا.. لأنه أول أمر عامٍّ بالعبادة. يترتب على ذلك أن المنادى في هذه الآية - وهُمُ الناس - يشمل كل مكلف بعبادة الله عن طريق هذا القرآن، وعلى لسان نبي الإسلام ﷺ.

ثم تمضي سورة (البقرة)، أطولُ سور القرآن، حافلةً بآيات الله الدالة على ربوبيته وألوهيته الحقة، وتضعُ التشريعات المنظمة لحياة من يناديهم القرآن، وترسمُ الآداب الطاهرة التي تزكى العباد، وتبين الحكمة الإلهية السامية وراء تلك التوجيهات الربانية.

وتأتي من بعد سورة (البقرة) سور طوال: آل عمران والمائدة والنساء إلى أن نصل إلى سورة الأنعام.. ونكون بذلك قد قرأنا ما يقرب من ربع المصحف الشريف.. فلا نجده يخاطب أحدًا من المكلَّفين بالعبادة واتباع المنهج القرآني أو يُشير إليهم إلا بمثل قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام..﴾٢:١٨٤

﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا..﴾ ٢:١٥٢

﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا﴾٢:١٦٩

﴿كان الناس أمة واحدة﴾٢:٢١٤

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة..﴾٤:١

﴿.. من قتل نفسا بغير نفس.. فكأنما قتل الناس جميعا..﴾٥:٣٢.

ولقد سمعنا القرآن الكريم في سورة (آل عمران) يتحدث عن صنفين من عباد الله: هما الذكر والأنثى، وكلاهما من البَشر.. ليقرر أن الفروق العضوية أو الاجتماعية بين الصنفين لا تفرِّقُ بينهما في العبادة وتكاليفها وثمراتها من ثواب وعقاب.. فكلٌّ منهما على قدر مسئوليته وبقدر جهده واجتهاده ينالُ نصيبه. وينتفي بعدَ قوله تعالى ﴿بعضكم من بعض﴾ الزعمُ أو الظنُ بأن الرجال قد فازوا بالنصيب الأوفى من التكاليف والجزاء، أو أن النساء حُرمن إلا من القليل. لا، إن السورة تقرر أنهم جميعا في هذا الأمر سواء. الجميع مطالَبون بالعبادة ومعرفة الله تعالى.. والجميعُ مسئولون عن الارتقاء والتقدم إلى الله عز وجل، ومدعوون للتخلق بأخلاقه والاتصاف بصفاته. والجميع محققون الهدفَ من خلقهم بقدر عملهم وتضحياتهم وثباتهم.

وفي سورة (الأنعام)، بعد ربع القرآن، بعد مئات من الآيات التشريعية والتعليمية والتربوية.. تأتي الإشارة في القرآن إلى نوع من المعبودات التي يؤلهها المشركون وينسبونها إلى الله ظلما وجهلا فيقول:

﴿وجعلوا لله شركاءَ الجن.. وخرقوا له بنينَ وبناتٍ بغير علم.. سبحانه وتعالى عما يشركون﴾٦:١٠١

والشرك بالله تعالى جريمة نكراء وسقطة شنعاء، يرتكبُها ويقع فيها الجاهلون بحق الله تبارك وتعالى، إذ يتخذون لأنفسهم أربابا يحمدونهم من دون الله، ويصفونهم بأوصاف الله.. وينسبون إليهم ما يُنسب إلى العلي القدير، ويعاملونهم بما هو حق

له وحده.. فيخصونهم بالطاعة والخضوع المطلق.

ولقد تناولت الآيات السابقة على هذه الآية بيانَ بعض نعم الله على **الناس** من أرض وسماء؛ ونَعَت على الظالمين منهم أنهم ينسبون لله شريكا يزعمون أنه ابن له!! والإشراك بالله تعالى ظلم عظيم لا يغفره الله الغفور الرحيم لمن أصر عليه وهلك دون توبة عنه. ذلك لأنها سفاهة تامة.. يُبطلُ بها المشركُ عقله.. والعقلُ أجلُّ النعم التي وهبها الله الخالق الوهاب للإنسان، ليكون الأداة الفعالة لقيادة الإنسان إلى تحقيق الهدف من خلقه. فإذا هو حَرَم نفسه منها وعطلها.. لزم أن ينال العقاب التربوي المناسب حتى يسترد هذا العقل.. ويعرفَ لربه حقَّه.. ويدرك جماله وجلاله، ويعلم يقينا أنه:

﴿بديع السموات والأرض. أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة. وخلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم• ذلك الله ربكم، لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه. وهو على كل شيء وكيل•﴾ ٦:١٠٢، ١٠٣.

وإذن فالشريك المزعوم، والولد المدَّعى.. ليس إلا وهمًا باطلا، لا وجود له إلا في خيال هؤلاء المشركين. وما هو إلا خيال كاذب من قبيل تلك الأشباح التي توهمها البدائيون في عصور الجاهلية، وزعموا أنها تسكن الجبال والقفار. والواقع أن أحدا منهم لم يرها إلا بخياله المرعوب وبعينه الكليلة المذعورة. ولذلك أطلق القرآن الحكيم وصف (الجن) على تلكم الآلهة المتوهمة.. لأن لفظ (الجن) يعبر أدق تعبير عن حقيقة وماهية تلك الآلهة. فكما أطلق البدائيون على الكائنات الخيالية التي لا حقيقة لها اسم (الجن)، وخافوها وزعموا أن لها من القدرات والسلطان ما تستحق به الطاعة.. كذلك سمّى القرآن باسم الجن هذا الابن المزعوم - أيا كان - الذي خلعوا عليه صفات وقدرات لا تنبغي إلا لله تعالى، ولا وجود له إلا في عقيدة هؤلاء الضالين.

إن مادة (ج ن ن) في اللغة العربية تتضمن معنى الستر والاستتار. تقول المعاجم اللغوية:

جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنًّا: ستره.

وكل شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك.

جَنَّ الليلُ: أظلم فستر المرئيات.

جَنَّه الليلُ جَنًّا وجنونا.

وجَنَّ عليه يجُن وأجَنَّه: ستره.

جَنَّ الجنينُ في الرحم، استتر.

جِنُّ الليل وجُنونه وجنانه: شدة ظلمته، وقيل اختلاط ظلامه لأن كل ذلك ساتر.

والجَنَن: القبر والكفن لأنه يستر جثة الميت.

والجَنان: القلب لاستتاره في الصدر، أو الروح لأنها مستورة في الجسم.

والمجن: الترس والوشاح والحياء.. لأنها تستر من يستخدمها.

والجُنَّة: ما وارك من السلاح: السترة والوقاية.

وجِنُّ الناس: معظمهم.. لأن الداخل فيهم يستتر بهم.

وجَنان الناس جماعتهم وسوادهم، وقيل دهماؤهم.

وقيل- الجِن: ولد الجان.. وهم الجِنة.

والجن خلاف الإنس.

والجِنَّة الجنون، وطائف الجِن.

والجِنَّة: طائفة من الجن.

والجان هو الجن أو أبو الجن، اسم جمع.

والجن هم الملائكة.. قال الأعشى يذكر سليمان عليه السلام:

وسخَّر من جِنِّ الملائك تسعةً
قياما لديه يعملون بلا أجر

وقوله جن الملائك أي الملائكة الجن يعني المستترة.

فكل ما استَتَر أو خَفي أو نأى فهو جِنّ.. وأيضا كل ما أخفى أو ستر أو غطى أو غلب على غيره فهو جن. فمثلا:

جِنُّ الشباب أوَّله، وجدّته ونشاطه.. لأنها الصفات الغالبة عليه. وجِنُّ كل شيء أول شداته. وجِنُّ المرح كذلك. يقال: خذ الأمر بجِنِّه أي حدثانه.

وجِنَّ النبت: زهره ونوره.. لأنه يجذب الأنظار إليه فيكون المظهر الغالب على النبات، فكأنه يستره. وجُنَّ النبتُ جنونا غلُظ واكتهل. وجُنَّت الأرض جاءت بشيء معجب، وإذا أعتم نبتها. وجُنَّ الذباب: كثر صوته وترنمه.

وجنون النبت طوله والتفافه، وجنون السنام تموكه وطوله. والجَنَّة الحديقة ذات الشجر والبستان.. لأن أشجارها تستر الأرض.

والجان الحية.. لسرعة اختفائها أو لاستتارها عادة.

فالتميز والشدة والعنفوان جنون.

ولقد أطلق الناس في زمن الجهالة الأولى اسم (الجن) على كائنات وهمية زعموا أنها موجودةٌ في الأماكن النائية عن العمران، وحسبوا أن ما تحدثه الرياحُ من زمجرة وعويل هو من أصواتها، وتوهموا أن ما يتراءى لعيونهم المجهدة الخائفة هو من أشباحها. ولقد علمنا أن اللغة العربية تستخدم مادة (ج ن ن) للتعبير عن كل ما من شأنه أن يستُر أو يستتر أو يجذب الأنظار (أو بلغة السينما: يسرق الكاميرا). وهكذا حُق للقرآن أن يطلق وصف الجن على تلكم الآلهة: لأنها وهم خيالي خفي عن عيون المشركين بل وعن الوجود كلية، ذلك دلالة على مدى ما في الإشراك بالله من زيغ وضلال وبطلان. لقد أطلق البدائيون اسم الجن على خيالات زعموا وجودها بغير علم ولا سلطان ولا تحقق، وهكذا فعل الجاهليون إذا زعموا أن في السماء أو في الأرض أبناء وبنات نسبوها إلى الخالق عز وجل.. نسبوها إليه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير!! فهي كائنات جديرة بوصف (الجن) حقا وصدقا. إن الآية القرآنية تعني بقول (شركاءَ الجنَّ).. أنهم شركاءٌ من صنع الجهل ونسج الخيال وتجسيد الأوهام.

وتعالى الله أن يكونَ له من تلك الأباطيل المنتحلة شريك، فإن مظاهر قدرته وعظمته، ودلائل جلاله وكماله تملأ الكون كله. تعلن أنه السبوحُ القدوس.. المنزهُ عن أي نقص. المتصفُ بكل حسن. إنه تبارك وتعالى غيبٌ لا تدركه الأبصار، ولكنه مشهودٌ للعقل.. منظورٌ بالبصيرة.. يُرى في آياته، ويُسمع في مخلوقاته. أما تلك الشركاءُ المزعومة فما أعجزها وما أقبحها!! ألوهيتها لا يقبلها عقل سليم، ولا يشهد لها واقع. إن الله هو الإله الحق.. ومع أنه حقا كما قال: ﴿لا تدركه الأبصار.. وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ ٦: ١٠٤.. فقد تحدث إلى خلقه، وبيَّن لهم طريقَ الهداية والرقي، بما يشهد له أنه: الحيُ القيوم.. الخالق القدير.. اللطيف الخبير. **وشتان ما بين الغيب والوهم.** فالغيب موجود فعلا وإن خفي عن الحواس الجسدية، لأنه إنما يدرك بالملكات المناسبة المؤهلة لإدراكه.. الملكات الروحية من فكر وقلب. أما الوهم فهو عدم.. يخترعه الخيال السقيم.. في غيبة العقل السليم. {يتبع}

أطِعْ ربَّك

أطعْ ربَّك الجبارَ أهلَ الأوامر
وخفْ قهرَه واترك طريقَ التجاسرِ
وكيف على نار النهابر تصبر
وأنت تَأذَّى عندَ حَرِّ الهواجرِ
وحُبُّ الهوى والله صِلٌّ مدمرٌ
كملمس أفعى ناعمٍ في النواظرِ
فلا تَخَاروا الطَّغْوى فإنَّ إلهَنا
غيورٌ على حُرُماته غيرُ قاصرِ
ولا تقْعُدَنْ يَابنَ الكرام بمُفسِدٍ
فترجعَ من حُبِّ الشَّريرِ كخاسرِ
ولا تحسَبَنَّ ذنبًا صغيرًا كَهَيِّنٍ
فإنَّ وَدَادَ اللَّمِمِ إحدى الكبائرِ
وآخرُ نُصحي توبةٌ ثم توبة
وموتُ الفتى خيرٌ لَّهُ من مَّناكرِ
من كتاب انجام آتهم..
لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود

شرح الكلمات:
النهابر: جهنم • الهواجر: جمع هاجرة وهي اشتداد الحر عند نصف النهار • الطغوى: الطغيان • الشَّرير: كثير الشر • وَداد: محبة • اللمم: صغار الذنوب

ندوة علمية - بقية المنشور ص٢١

الإسلام.. مرة بآسم مسألة سلمان رشدي، وتارة بحجة أخرى. إنهم يزوِّدون الغرب بكل الأسلحة التي يهاجم بها الإسلام.

هذا هو حال العالم الإسلامي. الآن أخبروني من هو المسئول؟ هناك ثلاث جهات على الأكثر يمكن اعتبارها مسئولة عن ذلك: إما الإنجليز، أو الله تعالى، أو نحن.. فقد ضمونا نحن الأحمديين أيضا إلى هذه القائمة بدون مبرر. الواقع أن هناك مرضا وحيدا فقط جاءت الإشارة إليه في بيت شعر للشاعر غالب، ولربما لا يرغبون في حِكمه الشعرية. قال:

أيها الشيخ الشقي، لو صرت صديقا لقوم فلا حاجة للدهر أن يعاديهم.. فأنت وحدك تكفي لتدميرهم.

[يتبع]

صيغة المبايعة

والانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم وعلى عبده المسيح الموعود

حضرة إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية .. أيده الله بنصره العزيز

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

أتشرف أنا .....

بإحاطتكم علما بأنى قد اطلعت على عقائد الجماعة الإسلامية الأحمدية وشروط الانضمام إليها، فشرح الله صدرى وحبب إلىّ الانضمام إلى هذه الجماعة المباركة، وأرجو منكم قبول مبايعتي هذه.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أنا الموقع على هذا .....

أبايع اليوم إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية.. حضرة مرزا طاهر أحمد.. الخليفه الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ، وأنضم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية ، وأتوب إلى الله من جميع ذنوبي السابقة ، وسوف أسعى جهد طاقتي لاجتناب الذنوب والمعاصي كلها ، ولن أشرك بربي أحدا، ولن أتبع الأهواء النفسانية . لن اغتاب ولن أوذي أحدا من خلق الله ، وسوف أوثر الدين على الدنيا ، وأجتهد في العمل بجميع أحكام الإسلام ، وسأسعى جاهدا لتعلُّم وتعليم وسماع القرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة وكتب سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ، وسوف أطيعكم في كل ما تأمرونني به من المعروف .

كما أؤمن بأن سيدنا ونبينا محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين ، وأصدّق بكل ما ادّعى به الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

أستغفر الله ربي من كل ذنبٍ وأتوب إليه

أستغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه

أستغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه

ربِّ إني ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لى ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

.....

AL TAQWA

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

Volume No 8, Issue No 6, October 1995

«التقوى» اللسان العربي للجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية لنشر الإسلام الصحيح وإحياء أمة محمد ﷺ وجمع كلمتها خلف إمام الوقت .. خليفة الإمام المهدي والمسيح الموعود الذي بشّر المصطفى ﷺ بظهوره في الآخرين.

والجماعة مستقلة تماما عن كل نظام سياسي أو هيئة أو منظمة من أي نوع. ولا تنتمي إلا إلى رب الإسلام. ورسول الإسلام. وكتاب الإسلام. وأمة الإسلام. ولا هدف لها إلا أن يُظهر الله الإسلام على الدين كله كما وعد سبحانه.

وترحب «التقوى» وتدعو القراء الكرام ليبعثوا بوجهات نظرهم واستفساراتهم وأسئلتهم ونقدهم إلى عنوانها بالمملكة المتحدة بالبريد أو الهاتف أو الفاكس.

عنوان بريدي : Islamabad, Sheephatch La,
Tilford, Surrey. GU10 2AQ, U.K.

هاتف: ٠١٢٥٢ ٧٨٢٤٦٢ - ٤٤

فاكس: ٠١٢٥٢ ٧٨٤ ١٤٨ - ٤٤

Muslim MTV AHMADIYYA

القناة الفضائية الإسلامية
لسان حال الجماعة الإسلامية الأحمدية
مخصصة لنشر التوحيد في العالم
وجمع كلمة المسلمين

الإرسال يوميا ١٢ ساعة إلى الشرق الأوسط وآسيا والشرق الأقصى [من ٧ إلى ١٩]
بالإضافة إلى إرسال حي إليها وإلى أوروبا وشمال أفريقيا [من ١٥, ١٣ إلى ١٥, ٥٥]
ومن الجمعة إلى الأحد [من ١٥, ١٢, ٤٥ إلى ١٥, ٥٥]
خطبة الجمعة [من ١٥, ١٣ إلى ١٤, ٣٠]
بتوقيت جرينتش

لمزيد من المعلومات اتصلوا بـ
Manager, MTA
16 Gressenhall Road
London SW18 5QL, UK
Tel: 44- 081 870 0922
Fax: 44 - 081 870 0684